الجمهورية الجـــزائرية الديمقراطية الشعبيـــــة
وزارة التعليـــــم العـــــالي والبحث العلمي
جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي.

عنوان البحث

جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العامّ
ـ دراسة وصفية ـ

بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في اللغة والأدب

تخصص: الجهود اللغوية والأدبية للجزائريين في القرنيين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

لجنة المناقشة

01ـ د/ محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار	رئيساً.
02ـ د/ عبد القادر قصاصي	جامعة أدرار	مشرفا ومقرراً.
03ـ د/ ادريس بن خويا	جامعة أدرار	مناقشاً.
04ـ د/ هشام خالدي	جامعة تلمسان	مناقشاً.
05ـ د/ خدير المغيلي	جامعة أدرار	مناقشاً.

من إعداد الطالبة:
❖ مانت بولغيتي.

بإشراف الدكتور:
عبد القادر قصاصي.

السنة الجامعية:
1434- 1435هـ / 2013- 2014م.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾

[سورة الروم، الآية 22]

إهداء

إلى من أعلى قدرها في القرآن، وجعل تحت قدميها أبواب الجنان، وأوصى بطاعتها الحبيب العدنان...أمي العزيزة أطال الله في عمرها وجعلها الله لي نوراً في الحياة.

إلى من أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) بعدها...أبي العزيز أطال الله في عمره وجعله الله لي سنداً في الدنيا.

إلى من منحني الطمأنينة والسكينة فأخذ بيدي وتحمّل انشغالي ،فأنار لي الطريق وذلّل الصعاب زوجي الحبيب "عمر" حفظه الله ورعاه، وإلى العائلة الكريمة.

إلى إخوتي وأخواتي كلٌّ باسمه، رموز المحبة لكم منّي أسما معاني الحب والإخاء .

إلى توأم روحي التي قاسمتني الحياة حلوها ومرّها "حسنة" وعائلتها الكريمة، وأخص بالذكر ابنها الحنون" محمد عبد الله".

إلى جدي الكريم الذي كان أباً أكثر منه جدّاً، أمدّ الله في عمره وجزاه الله خيراً.

إلى الجدتين الحبيبتين نفعني الله وإياكم ببركتهما ، وبارك الله في عمرهما.

إلى الخالين الكريمين "محمد" ، و"بوعلام" وأبنائهما ، اعترافا بجميلهما وإقراراً بفضلهما... أعانهما الله.

إلى أعمامي وعمّاتي وأبنائهم.

إلى كل شموع الفجر الذين أبصرت بفضلهم طريقي إلى العلم معلميّ، وأساتذتي.

إلى كل من يشغله تقويم اللسان العربي من الزّلل والسّمو بلغة الضاد.

إلى كل من يحمل لواء العلم والمعرفة ، ويعاني لأجل البحث .

إلى كل هؤلاء وأولئك أهدي ثمرة عملي هذا.

مانت

شكر وتقدير

اللهم ربنا لك الحمد على ما أعنت وأنعمت ولك الثناء على ما وفّقت وهديت فالحمد لله الذي بنعمه تتمّ الصالحات.

واعترافاً بالجميل وجب عليّ أن أشكر فضل كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث على رأسهم الأستاذ الفاضل "عبد القادر قصاصي" الذي تحمّل أعباء الإشراف على هذه الرسالة توجيهاً ودعماً وصبراً، فله منّي خالص التقدير والاحترام، وجزاه الله خير الجزاء.

وممن يطيب لي شكرهم في هذا المقام أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها، وعلى مجهوداتهم طيلة المواسم الجامعية وأخصّ بالذكر ، د/أحمد جعفري، د/ محمد الأمين خلادي، د/مبارك ابلالي ، د/ المغيلي خدير ، ود/ إدريس بن خويا، ... وإلى كل أساتذة القسم.

كما أتقدم بخالص شكري إلى أخي " محمد الطيب" الذي كان معي خير سند ومعين.

كما لا يفوتني أن أوجه شكراً خاصاً إلى الأخت " عائشة معزوزي " وفقها الله لكل خير.

وإلى كل من قدّم لي يد العون ولو بالكلمة الطيّبة.

إلى كل هؤلاء أتوجّه لهم بالشكر، سائلة المولى عزّ وجل أن يجعل سعيهم سعياً مشكوراً.

مانت

مقدمـــــة

مقدمـــــة

لقد اتّجه كثير من الدارسين في العصر الحديث إلى دراسة اللهجات العربية وذلك بهدف تبيين خصائصها وسماتها والوقوف على أصول اللغة العربية وجذورها ومعرفة أسرار تطوّرها ، وإذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة تعنى بهذا الجانب لأهميته في إبراز التطورات التي أصابت اللغة العربية في مسيرتها، فإن الدراسات اللغوية القديمة قد اعتنت بها في إطار آخر، وهو التصويب اللغوي الذي ألّف القدماء كتبا عالجوا فيها ظاهرة اللحن وتفشي الخطأ، من أجل الحفاظ على النص القرآني من امتداد الفساد إليه، لذلك لم تحظ هذه اللهجات التي وردت في كتب اللغة ومعجماتها بالعناية التي لقيتها اللهجات المعاصرة.

ولعل الدكتور عبد الجليل مرتاض من الذين كان لهم اهتمام بارز في هذا المجال الذي يعنى بعلم اللهجات واللسانيات الجغرافية، فلعل هذين العلمين هما سبب اختياري لهذا البحث، فقد كان يراودني تساؤلاً بين الحين والآخر وهو: هل علم اللهجات واللسانيات الجغرافية يحملان معنى واحداً أم هما علمان مستقلان؟

لكن بعد عملية البحث في هذا المجال أكثر لفت انتباهي كتاب لـ: د/ عبد الجليل مرتاض بعنوان: " اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي"، وبعد أن تصفّحته اتّضح لي أن اللسانيات الجغرافيا مجال واسع يدخل ضمنه ما يعرف بعلم اللهجات العام، وليس هذا فحسب، فقد عثرت على كتاب آخر للباحث نفسه يحمل عنوان " مقاربات أولية في علم اللهجات".

من هذا المنطلق اكتشفت أنّ الباحث له اهتماماً كبيراً بعلم اللهجات ولاسيما عندما عثرت على كتاب آخر له في المجال نفسه، يحمل عنوان: " الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة والتركيب"، من خلال المعطيات السابقة آثرت أن أضرب عصفورين بحجر واحد وهو محاولة الكشف والتعرف أكثر على هذين العلمين وكذا دراسة شخصية جزائرية كان لها جهد مثمر في هذا الجانب تتمثل في الجهود التي تفضّل بها الأستاذ الجليل عبد الجليل مرتاض وأبرزها في مؤلفاته.

وعليه جاء عنوان البحث على هذا النحو:(**جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام** " **دراسة وصفية**"). أمّا الإشكال المطروح هنا فيكون كالآتي:

_ كيف كانت نظرة عبد الجليل مرتاض لهذا الفرع اللساني من خلال كتاباته ؟ ثم كيف عالج حقيقة العلاقة بين اللسانيات الجغرافيا وعلم اللهجات ؟

_ ما هي البصمات اللغوية اللاّمعة التي أضافها الباحث للدرس اللساني اللهجي في معالجته للتراث الفكري اللغوي؟

وإذا كانت تلك هي الحوافز والدوافع التي جعلتني ألج هذا الموضوع فإن الأهداف المتوخاة منه هي:

_ محاولة تسليط الضوء على شخصية جزائرية كان لها دور بارز في دراسة علم اللهجات؛ تتمثل في شخصية الباحث عبد الجليل مرتاض، بغية التعرف على نظرته وطريقة تناوله لهذا العلم.

_ الكشف عن حقيقة التداخل بين اللسانيات الجغرافيا وعلم اللهجات العام.

أما عن الدراسات السابقة للبحث فقد عثرت على رسالة ماجستير تحمل عنوان " الجهود النحوية عند عبد الجليل مرتاض" فسارعت لاطّلاعها، لكن عند تصفحها وجدت أن المدونات المدروسة نحوية والمجال نحوي أيضا، وبالتالي ارتحت فالموضوع ليس تكرار لما سبق؛ لأن البحث المعني يعالج مجالاً آخر وهو علم اللهجات العام الذي يعاني من قلّة الدراسات كما أكدّ ذلك الباحث نفسه في مؤلفاته، بالإضافة إلى أن المدونات المدروسة لم تعالج من قبل فهي تعتبر كمادة خام للبحث.

وقد اقتضت طبيعة المادّة العلمية والمنهج المختار اتّباع خطّة بحث مسبوقة بمقدّمة يليها مدخل وثلاثة فصول وأخيراً خاتمة استنتاجية ؛ فخُصّص المدخل للتعريف بالسيرة العلمية لشخصية عبد الجليل مرتاض.

أما الفصل الأول فجاء لمعالجة علم اللهجات واللسانيات الجغرافية بشكل عام.

وتعرّض الفصل الثاني لدراسة كتاب " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" ، الذي جاء في مبحثين؛ فالمبحث الأول تطرقت فيه إلى التعريف بالكتاب ومنهج الباحث فيه، وجاء المبحث الثاني لدراسة القضايا اللهجية التي تطرّق لها الباحث.

أما الفصل الثالث فجاء لدراسة كتاب " مقاربات أولية في علم اللهجات" ، فقد اشتمل على مبحثين ، فالمبحث الأول عرّفت فيه بالكتاب وكذا منهج الباحث فيه ، أما المبحث الثاني فخصّص لمعالجة القضايا اللهجية التي احتوى عليها المصنف.

أما المنهج المناسب لهذه الدراسة هو الوصفي التحليلي بالدرجة الأولى وذلك من خلال معاينة ودراسة الظواهر اللهجية في مؤلفات عبد الجليل مرتاض بالوصف والتحليل ، مما يحتم أحيانا إجراء موازنات غير متعمدة لأراء علمائنا القدامى والمحدثين أثناء الدراسة.

وقد تضافرت عدّة مصادر ومراجع في البحث تنوّعت بين القديم والحديث: منها مؤلفات عبد الجليل مرتاض التي اعتبرتها مصادر للبحث على رأسها "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" ، "مقاربات أولية في علم اللهجات" ، بالإضافة إلى مراجع أخرى نذكر منها: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، أسس علم اللغة، ماريوباي... إلى غير ذلك.

ونظراً لقلّة علمي وكثرة غفلتي فلا جرم من وقوع الخطأ منّي فيما كتبت، فما كان صواباً فمن الله وحده، وما كان خطأً فمن نفسي والشيطان، وفي الأخير أسأل الله العزيز الحكيم أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم إنّه نعم المولى ونعم النّصير، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجعين.

الباحثة: مانت بولغيتي

أدرار في: 2014/02/23 م

مدخل

السيرة العلمية لعبد

الجليل مرتاض

حياته العلمية:

سنحاول في هذا المدخل أن نسرد بعضاً من سيرة الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض العلمية والعملية لعلّها تعرّف القراء بهذه الشخصية الجليلة التي نتمنى لها المزيد من الإبداع والتألق في فضاء الفكر والثقافة واللغة والأدب.

فهو عبد الجليل مرتاض عبد القادر أحد أعمدة اللغة العربية و آدابها في الجزائر و الوطن العربي، فحضور أعماله بين الدارسين قوي وكذا كتبه في المكتبات العربية والجزائرية بوجه خاص، بالإضافة إلى التوثيق لأفكاره في المراجع والرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية فقد تنوعت أعماله في عدة اختصاصات مثل اللسانيات وتحليل الخطاب وجغرافية اللغة، والإبداع الروائي...[1]

فزيادة على المناصب و المهام العلمية و الإدارية التي أسندتها له جامعة تلمسان و كذا جامعة سيدي بلعباس ووهران...نجده قد تقلّد مجموعة أخرى من المهام خارج إطار المحيط الجامعي. فهو عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، و عضو اللجنة الوطنية لبرامج اللغة العربية، و عضو المجلس الأعلى للغة العربية، و عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية...، فقد جاءت كتبه العلمية لتُوَجِّه أنظار الباحثين إلى التراث العربي القديم في المجال اللساني على وجه الخصوص، فأكّد في أكثر من موقف على ضرورة العودة إلى هذا التراث، و ظهر ذلك بشكل غير مباشر في الشق العملي من إنجازاته، و بشكل مباشر في أكثر من تصريح[2]؛ حيث يقول: «أعتقد أنّ الحاجة العلمية لبحث التراث العربي الإسلامي عامة و الحركة اللغوية المبكّرة خاصة لا تزال ماسة و قائمة على الرغم من المجهودات العلمية الجادة التي بذلها في هذا المضمار علماء عرب و أجانب منذ وقت بعيد و حتى اليوم، و ليس استمرار البحث العلمي

[1]– ينظر مجلة اللغة والاتصال ، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران، الجزائر، تقديم، أحمد عزوز مدير مختبر اللغة العربية والاتصال، العدد الحادي عشر ، 2011، ص: 09.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص: 55.

في هذا الحقل اللغوي عجبا بل العجب أن تتوقّف عجلة البحث و حركة العمل، و ما استمرار البحث الأكاديمي في هذا التراث اللساني العربي الأصيل إلا دلالة على قوته و عراقته و أصالته مؤكدا أنّ البذور و الجذور التي أسّسها له أولئك الفقلغويون (فقهاء اللغة) القدماء العباقرة تنمّ عن بنيات صحيحة و مناهج سليمة»[1]. فهكذا نرى أن عبد الجليل مرتاض يولي اهتماماً بالغاً للتراث اللغوي والأدبي، فيؤكد على ضرورة العودة إلى دراسة المصادر التراثية العربية.

وللتنبيه فإن عناية الدكتور عبد الجليل مرتاض بالتراث العربي لا يعني إغفاله للفكر الأجنبي أو تجاهله للمناهج اللغوية الغربية ، بل العكس فالكثير من كتاباته توحي بأنه مطلع على الدراسات الغربية فهو على وعي تام باجتهادات علمائها في المجالات اللغوية والأدبية، فأعلام من أمثال " دي سوسير ، تودوروف، جورج مونان"[2]...، وغيرهم من العلماء نجد لهم حضوراً بارزاً في دراسات عبد الجليل مرتاض، وبالفعل فإنّ « الأصالة لا تعني التقوقع على الذات كما أن الحداثة أو المعاصرة لا تعني الانفتاح الأعمى، ولكن الحكمة والرأي السديد ضالة الباحث أنّى وجده فهو أولى به»[3]، إذن يمكن القول أن الجهود التي بذلها أستاذنا الفاضل في خدمة اللغة العربية وآدابها وفكرها حقيقة لا مجال لإنكارها، وحسبنا هنا أن نسرد أهم الأعمال التي قام بها الدكتور عبد الجليل مرتاض على النحو الآتي:

---

[1] _ بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، عبد الجليل مرتاض، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص:05.

[2] _ مقاربات أولية في علم اللهجات، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دط)، 2001، ص: 22، 23، 26.

[3] _ ينظر مجلة اللغة والاتصال ، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران الجزائر، العدد الحادي عشر، 2011، قراءة في كتاب " عالم النص والقراءة" للدكتور عبد الجليل مرتاض، محمد سعيدي، جامعة مستغانم، ص: 44.

من شهاداته ومهامه العلمية[1]:

_ دبلوم الليسانس في اللغة العربية وآدابه (جامعة وهران، جوان 1973)

_ دبلوم المنهجية في اللغويات (جامعة الجزائر، جوان 1975)

_ دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية (جامعة الجزائر، 1977).

_ شهادة الماجستير في فقه اللغة العربية (جامعة الجزائر، ديسمبر 1982)

_ دكتوراه الدولة في اللغويات" لسانيات " (جامعة تلمسان 1994)

_ أستاذ التعليم الثانوي 1973 _ 1978

_ أستاذ مساعد في جامعة تلمسان 1987_ 1984

_ أستاذ مكلف بالدروس في جامعة تلمسان 1984 _ 1996/06/06

_ أستاذ محاضر في جامعة تلمسان 1996/06/06 إلى 2001/06/06.

_ أستاذ التعليم العالي: 2001/06/06 إلى الآن

_ أستاذ مشارك وزائر في أكثر من جامعة جزائرية لتدريس وتأطير طلبة الدراسات العليا، ومشرف على رسائل جامعية في دكتوراه الدولة والماجستير ، ومناقشا لها، ومسهم في تأهيل أساتذة جامعيين داخل الجزائر وخارجها

وقد تقلّد وظائف إدارية في وزارة التعليم العالي منها:

_ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان، 1978_ 1981.

_ مدير معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان، 1981، 1984.

_ مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للغات والأدب العربي (تلمسان)، 1984_ 1990.

كما كانت له مهمات أخرى وما تزال ومنها:

_ عضو اتّحاد الكتاب الجزائريين منذ 1988 إلى الآن .

_ عضو اللجنة الوطنية لبرنامج اللغة العربية.

[1] _ مجلة اللغة والإتصال، ص: 10-12.

_ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) منذ 1988 إلى الآن

_ عضو المجلس الأعلى للغة العربية منذ 1978 إلى الآن.

مؤلفاته:[1]

تنوّعت كتابات الدكتور عبد الجليل مرتاض بين البحث العلمي (في اللغة و النقد و الترجمة) و الإبداع الروائي ومن أهم مؤلفاته التي تعرّفنا عليها هي:

1_ العربية بين الطبع والتطبيع_ ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

2_ البنية الزمنية في القص الروائي ديوان المطبوعات الجامعية 1993.

3_ بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، دار الأشرف، بيروت 1988.

4_ التحليل اللساني البنيوي للخطاب _ دار الغرب(وهران) ، 2000

5_ الموازنة بين اللهجات العربية _ دار الغرب (وهران).

6_ تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى _ دار الغرب (وهران).

07_ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي _ دار الغرب _ وهران_

08_ مقاربات أولية في علم اللهجات_ دار الغرب(وهران)، ط2، 2006.

09_ مفاهيم لسانية دي سوسورية_ دار الغرب (وهران).

10_ اللغة والتواصل _ دار هومة (الجزائر)، ط.3

11_ التحولات الجديدة للسانيات التاريخية_ دار هومة (الجزائر) ، ط.4

12_ دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة _ دار هومة (الجزائر)، ط.2

13_ التهيئة اللغوية للنحت في العربية_ دار هومة (الجزائر).

14_ الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية – دار هومة (الجزائر) 2008م.

15_ في مناهج البحث اللغوي _ دار القصبة (الجزائر)، 2003م.

16_ مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث – دار ثالة (الجزائر).

[1] _ مجلة اللغة والاتصال، ص: 12_ 13.

17_ دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث _دار ثالة (الجزائر)، 2005م.

18_ في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007.

19_ الظاهر والمختفي (أطروحات جدلية في الإبداع والتلقي)، 2005م.

20_ في عالم النص والقراءة، 2006.

أما إبداعه الروائي فيتجلّى فيما يلي[1]:

01_ رفعت الجلسة (رواية) مطبعة النيل (القاهرة)، 1989.

02_ عقاب السنين(رواية)، رابطة الأدب العربي الحديث (القاهرة)، 1990.

03_ دموع وشموع (رواية) اتحاد الكتاب العرب (دمشق) 2001.

04_ أنتم الآخرون (رواية)، دار الغرب (وهران) 2004.

05_ لا أحب الشمس في باريس _ دار هومة (الجزائر) 2005.

06_ ما بقي من نعومة أظفار الذاكرة (الرواية) دار الغرب (وهران)، 2007م.

أمّا أبحاثه ودراساته هي كالآتي:[2]

_ أبحاث ودراسات في مختلف الدوريات والمجلات العربية المحكمة أكاديمياً (في مختلف الأجناس: لغة، لسانيات، مصطلحات، نقد لساني، آداب، سيميوطيقا، نحو وصرف، تحاليل للنصوص، وخاصة ما يتعلّق باللغة العربية وعلومها ونشاطها عبر السّنين).

_ أعمال علمية أخرى في اللغة العربية وعلومها وحقولها قيد الطّبع.

كما له نشاطات علمية أخرى:

_ مدير مخبر" تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية" منذ 2002م.

_ مدير مجلة " المصطلح" التي صدر العدد الأول منها في مارس 2002م، والعدد السادس في ماي 2008م، وهي تابعة للمخبر.

---

[1] _ مجلة اللغة والاتصال، ص: 14.

[2] _ المرجع نفسه، ص: 14، 15.

_ عضو في هيئة التحرير لمجلة " اللغة العربية" التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر)، منذ 1999 إلى الآن.

_ عضو في هيئة تحرير مجلة " المجمع الجزائري للغة العربية".

_ خبير في مجلات جامعية وطنية عديدة وجامعات جزائرية وعربية.

_ خبير في جائزة اللغة العربية التي يمنحها المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر كل سنتين.

وعليه يمكن القول أن الدكتور عبد الجليل مرتاض كانت له بصمة طيبة على الدرس اللغوي والأدبي وهي حقيقة أقرّها كثير من الباحثين، أمثال الدكتور صالح بلعيد الذي عبّر عن ذلك في مقامته عن مرتاض قائلاً:« هذا عبد الجليل الذي طاب أصله، وزكا فرعه، يقوم بوظيفته على قدر اجتهاده واعتياده، حتى كبُرت همّته وكثُرت قيمته، إن عبد الجليل منح فأجمل وأعطى فأجزل، فله نعم سابقة، وآلاء متتابعة، فما يزال جاداً في تهوكه، جارياً على أقواله، سالكاً سبيلَ عنايته، واعياً لقضايا سلفه، عارفاً بمآثر خلفه ، لبس لبوس أبيه فاجتمع له الاسم والمعنى، له باع في العلم والمسعى، شريف في الأصل والمبنى، كريم في الجود والفضلى.»[1]، فهذه الكلمات التي نسجت في حق الباحث عبد الجليل مرتاض توحي بأن له مواقف خالدة تجلت في كتاباته وإبداعاته.

[1] _ مجلة اللغة والاتصال، "مقامة في مرتاض، صالح بلعيد جامعة تيزي وزو "، ص: 26.

الفصل الأول

علم اللهجات واللسانيات الجغرافية

المبحث الأول:اللهجة

1/تعريف اللهجة:

أ/لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ)، في مادة "لهج" قوله:« اللام والهاء والجيم أصل صحيح يدلّ على المثابرة على الشيء وملازمته ، وأصل آخر يدل على اختلاط في أمر، يقال لهج بالشيء ، إذا أغري به وثابر عليه ... وقولهم: هو فصيح اللهجة، واللهجة: اللسان، بما ينطق به من الكلام وسمّيت لهجة لأنّ كلاّ يلهج بلغته وكلامه، والأصل الآخر قولهم : لَهْوَجْتُ عليه أمره، إذا خلطته، وأصله من اللّبن الملهاج ، وهو الخاثر الذي يكاد يروب ومن الباب: لَهْوَجْتُ اللحمَ، إذا لم تنضجه شيئاً، فكأنه مختلط بين النّيء والنضج»[1]؛ يظهر من خلال النّص أن للهجة معنيين مختلفين من حيث الأصل كما وضّح صاحب النص، فالمعنى الأول لا يخرج عن دلالة التعلق بالشيء والاعتياد عليه، أما الأصل الثاني " لهوج" فيدل على معنى الاختلاط .

أما ابن منظور في معجمه لسان العرب، فقد بيّن هذه المعاني اللغوية بشيء من التفصيل حين قال في مادة "لهج":« لَهِجَ بالأمر لَهَجاً ولَهْوَج، وأَلْهَجَ، كلاهما : أولع به واعتاده، وأَلْهَجْتُه به، ويقال:فلان مُلْهَج بهذا الأمر أي مولع به، واللّهجة واللّهَجَة: طرف اللسان ، واللهْجة: جرس الكلام: ويقال فلان فصيح اللهْجة واللّهَجة، وهي لغته التي جبل عليه فاعتادها ونشأ عليها... وفي الحديث: ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، قال اللهجة اللسان ...،والفصيل يلهج أمه إذا تناول ضرعها يمتصه...، ولَهْوَجَ الشيء خلطه، ولهوج الأمر : لم يُحكمه ولم يُبرمه.»[2]

---

[1]– معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة (لهج)، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دت)، (دط)، ص:214، 215.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، مادة (لهج)، مج2، دار صادر، بيروت، ص:359، 360.

ممّا سبق يظهر أنّ العرب القدماء قد عبّروا باللّهجة عن اللّغة واللسان وحين يسميها القدماء باللسان فهم يقصدون " الحديث والكلام"[1]، ولعلّ اللهجة سمّيت بهذا المصطلح نتيجة لتعلّق وولع كل قوم بلغة معيّنة واعتيادهم عليها.

ب/ تعريفها اصطلاحاً:

لم تعرف اللهجة في اصطلاح العرب القدامى تعريفاً شاملاً دقيقاً ، ولعلّ ذلك يعود إلى كونهم عبروا عليها بمصطلح " اللغة"، ويظهر ذلك جلياً في التعريف اللغوي السابق الذكر، فنجد ابن فارس مثلاً في كتابه الصاحبي يجعل لهذا المعنى باباً سمّاه " باب القول في اختلاف لغات العرب" حيث يقول:« اختلاف لغات العرب من وجوه : أحدها: الاختلاف في الحركات نحو: نَستعين ونِستعين بفتح النون وكسرها، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد، وغيرهم يكسرها ...»، أمّا ابن جني، فقد عقد باباً لهذا الشأن سمّاه ب" اختلاف اللّغات وكلّها حجة "، حيث يرى أنّ سعة القياس تُتيح لهم ذلك، ولا تخطره عليهم، فلغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله.

فإذا ما تأملنا في المعاني السابقة نجد أن القدماء من علماء العربية عبّروا بكلمة اللغة عن معنى اللهجة، ولهذا نجدهم يقولون لغة طيء لغة تميم، لغة الحجاز...، وما يقصدون بذلك، إلا ما يعرف عندنا اليوم باللهجة. هذا وقد أطلق على اللهجة لفظ "اللحن"، « قال أحد الأعراب:(ليس هذا لحني ولا لحن قومي) »[2]، وعليه يمكن القول أن مصطلح اللهجة في العربية مصطلح حديث لأن اللغويين القدامى أطلقوا عليه لفظ " لغة"، أما إذا أرادوا التعبير عن اللغة الخاصة بأمة من الأمم وشعب من الشعوب كالعربية والسريانية وغيرها، فيطلقون عليها

[1]– قضايا في الدرس اللغوي، نادية رمضان، مؤسسة شباب الجامعة، 2001، 2002، (دط)، ص:127

[2]– فقه اللغة، حاتم صالح الضامن، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2007م، ص:13.

(اللسان)[1]، وبذلك نطق القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ لِسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾، (سورة النحل، 103)،

هذا عن القدماء أما اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث فيعرّفها إبراهيم أنيس بقوله:« هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة، هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائص، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض.»[2]

وقد عرّفها بعض الدارسين بأنها:« العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.»[3].

وجدير بالذكر أن « العادات الكلامية مصطلح محدث يراد به الصفات النطقية والتركيبية التي تمتاز بها لهجة عن أخرى فتصبح صفة لها، وتُقسّم العادات الكلامية عند المحدثين على أقسام ثلاثة هي:

- العادات المتعلقة بالأصوات وكيفية تصويبها وطبيعة إصدارها.
- العادات المتعلقة بالبنية وطرق صياغتها.
- العادات المتعلقة بالتركيب وكيفية نسجه.

بالإضافة إلى فرع رابع يدرسه بعض الدراسين دون بعض وهو متعلق بمعجمية الألفاظ

---

[1]- ينظر فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، ط1، 1425هـ - 2004م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص: 217.

[2]- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6، ص:17.

[3]- اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ - 1993م، ص33.

ودلالتها.»[1]؛ إذن فمجموع هذه العادات الكلامية بأقسامها وصفاتها وخصائصها المشتركة تتكون اللغة، كالعربية التي تتوزع لهجاتها قديما على عدة قبائل، وحديثا على عدة بيئات في الوطن العربي يصعب حصرها وهي العاميّات، وأرى في هذا المقام أن أوجز ملاحظة خطرت في الذهن وأنارت وهي: الفرق بين اللهجة والعامية، فاللهجة سبق وأن تعرّفنا عليها بينما العامية تُعرّف على أنّها« جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة وأضيف إليها بعض ألفاظ أجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها، وإنما حفظ منها ما اشتدت إليه حاجة المتكلمين بها للتفاهم في الأغراض المعاشية الظاهرة»[2].من النّص يظهر أن العامية أداء لغوي ممزوج بألفاظ أجنبية، وهناك من يسمّيها بالدارجة وهذا ما ذهب إليه كمال بشر حين قال:« العامية هي لغة الحديث اليومي الدارج ولغة الحياة العامة بكل ما فيها من أوجه النشاط الإنساني على مستوى الجماهير العريضة .»[3]

وعلى هذا الأساس يتبيّن لنا أن اللهجة أعم من العامية ، فقد أطلقت دلالة لهجة على كلام العرب القدامى الذي تميّز أغلبه بالفصاحة في حين تطلق العامية على اللغة اليومية المتداولة في كل بيئة، وإن كان هناك من يستعمل العامية واللهجة بمعنى واحد، وهذا ما أيّدته بعض المعاجم الحديثة التي سجّلت أنّ العامية تسمّى أيضا بمصطلحات أخرى وهي: اللهجة، اللغة الدارجة، ولغة الحديث اليومي.[4]

---

[1]– المعجم المفصّل في فقه اللغة ، مشتاق عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ –2001م، ص: 112،113.

[2]– مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،ج1، مج43، يناير1967م، رمضان1387هـ، على هامش دعوى الصعوبة في تعلم العربية، خليل سمعان، ص176.

[3]– دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،1997م، ص227.

[4]– ينظر المعجم المفصّل في فقه اللغة، مشتاق عباس، ص114.

2/ صفات اللهجة:

بعد أن تعرّفنا عن اللهجة ومعانيها والمصطلحات التي تتداخل معها سنطرق عنصراً آخر يتمثّل في صفات اللهجة وقد حصرها أغلب الباحثين في الأصوات وطبيعتها باعتبار أن « الذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان.»[1]؛ بمعنى أن اللهجة هي أداء صوتي بالدرجة الأولى سنحاول إيجاز هذه الصفات في الآتي:

– الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية، مثل الجيم العربية والجيم القاهرية، فالجيم الأولى تخرج من وسط اللسان مع مايحاذيه من الحنك الأعلى، والأخرى تخرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.

_ الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين[2]، أو الحركات الطويلة وهو ما يعرف بأصوات المد عند القدماء.

_ الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، كقلب الواو تاءً إذا وقعت فاء لافتعل فجمهرة العرب تقول: اتّصل والحجازيون يتركون الواو متأثرة بالحركات السابقة عليها، فتُقلب إلى حروف مجانسة لتلك الحركات، فيقولون : ايتصل[3].

_ الاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله[4]، ولابد من الإشارة إلى أنّ الهمزة كما ذكر إبراهيم أنيس صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وذلك أن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً، فلا يسمع لهذا دبدبة الوترين الصوتين، وحتى الهواء لا يسمح له بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار انفجاراً فجائيا تنتج عنه الهمزة[5].

---

[1]– في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص17.

[2]– المرجع نفسه، ص19.

[3]– ينظر المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، ص57.

[4]– المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محين، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، الاسكندرية، ص10.

[5]– ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، (دت)، ص:77.

وتذكر بعض المعاجم الحديثة« أن العرب سوى أهل الحجاز يحققون الهمز وينبرون، أما أهل الحجاز فيلينون ويسّهلون»[1]. فهذا الاختلاف في نطق الهمز بين العرب جعل علماء القراءات يولون للهمزة اهتماماً كبيراً فعقدوا لها فصولاً مطولة تحدّثوا فيها عن أحكامها، من حيث التحقيق والتليين والحذف وما إلى ذلك.

بالإضافة إلى جملة من الصفات الصوتية التي تميّز اللهجات ذكرها القدماء وأقرّها المحدثين، نذكر منها: _ الاختلاف في الحركة والسكون نحو: مَعَكم ومَعْكم، أو في نوع الحركة مثل: نَستعين ونِستعين.

_ الاختلاف في الإمالة والتفخيم مثل: قَضَى ورَمَى، فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل وكذا الاختلاف في الإدغام والإظهار[2].

إلى جانب هذه الصفات الصوتية المذكورة توجد صفات نحوية وإعرابية نذكر منها[3]:

_ التشديد والتخفيف كما في الأمر:(رُدَّ – ارْدُدْ).

_ الحذف والإثبات في نحو:(اسْتَحْيَيْتُ)،و(اسْتَحَيْتُ)، فالأولى لأهل الحجاز، والثانية لتميم وبكر بن وائل.

_ الاختلاف في (أمس) رفعاً بين (أمسِ) و(أمسُ)، فالأولى بالبناء للحجازيين والثانية بالإعراب لبني تميم.

_ اختلافهم في استعمال المثنى بالألف مطلقاً (رفعاً ونصباً وجراًّ)، أو جعل الألف للرفع والياء للنصب والجرّ، والأولى لغة بلحارث، والثانية لغة سائر العرب.

---

[1]– معجم الفصيح في اللهجات العربية وماوافق منها القراءات القرآنية، محمد أديب عبد الواحد جمران، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1421هـ – 2000م، ص: 17.

2– ينظر المزهر في علوم اللغة، السيوطي، شرح و تعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية بيروت، 1408هـ –1987م.ص:255– 256.

[3]– ينظر معجم الفصيح في اللهجات العربية وماوافق منها القراءات القرآنية، محمد أديب عبد الواحد جمران، ص: 18،19،20.

تلك هي بعض الصفات التي اتّسمت بها اللهجات العربية، والمتمثلة أساساً في المستوى الصوتي بالدرجة الأولى وكذا المستوى النحوي ، ومن المعروف أن علماء القراءات القرآنية كان لهم اهتمام كبير باللهجات، ويظهر ذلك من خلال ما جمعوه في مصنفاتهم من القراءات السبع المتواترة والقراءات الشاذة، ونسب بعض القراءات إلى لهجة معيّنة.

3/ أسباب وعوامل نشأة اللهجات:

لقد كان لنشأة اللهجات وتكونها أسباب وعوامل جعلتها تنقسم بهذا الشكل التي هي عليه، سنحاول إجمالها فيما يأتي:

1/ أسباب جغرافية:

لاشك ان أنماط العيش تختلف من بيئة لأخرى، فأصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، إلاّ أن البيئة الصحراوية مثلاً تختلف عن الزراعية، والممطرة تختلف عن الجافة، والأمر نفسه مع البيئة الباردة والحارة والمعتدلة... وغيرها؛ فهذه الاختلافات تقتضي أن تكون لكل بيئة ألفاظ خاصة تعبّر عمّا فيها[1]، فمادامت البيئة تؤثر على سكّانها جسميّاً ونفسياً؛ فإنها تؤثر أيضاً على أعضاء النطق وطريقة الكلام[2]، كما هو واقع وواضح للأعيّان.

2/ أسباب اجتماعية:

من المؤكد أن لهذا العامل دوراً كبيرًا في نشوء اللهجات، ذلك لأن طبيعة المجتمع تتعدّد وتنقسم إلى طبقات، فنجد« الطبقات الارستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها من أرباب المهن المختلفة وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات

---

[1]- ينظر في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1978-1979م، ص:70.

[2]- ينظر اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص:41.

المجتمعات وتختلف»[1]، ناهيك عن الظروف الاجتماعية التي تتعدّد في البيئة الواحدة، فكل فئة تحاول أن تكون لها لغتها، وأسلوبها اللغوي المميّز.[2]

4/ احتكاك اللغات وصراعها:

يعدّ هذا العامل من أقوى الأسباب في نشوء اللهجات، فمثلما تتفاعل المجتمعات وتتصارع على البناء والغلبة، فكذلك اللغات، « إذ يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحيّة وجماعاتها من احتكاك فالألفاظ كالنّاس تنتقل كما ينتقلون، وتهاجر كما يهاجرون، ويؤدي انتقالها وهجرتها، واحتكاكها مع غيرها إلى تسرّب ألفاظ وأساليب كثيرة منها أو إليها، وقد يؤدي صراعها مع غيرها إلى انتصارها أو انكسارها»[3]، بل إن فندريس يثبت أنّ « احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها»[4].وهذا ما أكّده إبراهيم أنيس حين قال أنّ التاريخ حدّثنا عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي، فالعرب قد غزتها عدة جهات متعدّدة اللغات، لكن اللغة العربية استطاعت في آخر المطاف أن تصرع تلك اللغات في مهدها، وبالرغم من هذا الصراع إلا أنّ أثر تلك اللغات ظاهر في البيئة العربية، فقد تركت القبطية قبل زوالها آثاراً في العربية المصرية، كما تركت البربرية آثاراً أخرى في بلاد المغرب[5]، وقس على ذلك.

---

[1]- اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال ، ص:42.

[2]- ينظر فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته، قضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خريمة، ط1، 1426هـ - 2005م، ص:93.

[3]- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، الجامعة المستنصرية، ط1، 1408هـ - 1988م، ص:127.

[4]- اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (دط)، (دت)، ص:348.

[5]- ينظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 23- 25.

وعليه فإنّ للتاريخ شواهد كثيرة على أثر احتكاك اللغات وصراعها فالألفاظ الأمازيغية أو الزناتية التي وجدت ولازالت في لهجة توات مظهر من مظاهر الاحتكاك اللغوي[1]، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

5/ أسباب فردية:

لاريب في أنّ اللهجة تختلف من شخص لآخر حسب عاداته النطقية والمميّزة فقلّما نجد شخصين يشتركان في لهجة واحدة، وعليه فإنّ « اختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى»[2]، وللتنبيه فإن هناك من يسمّي هذه الخاصية بالمغايرة الفردية أي أن لكل إنسان لهجته الخاصة، وأن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة[3]؛ بمعنى أن المغايرة الفردية طبيعية عفوية، فلا يولد ولد يكون صورة طبق الأصل لأبيه أو لأمّه، فكأنّ الطبيعة تكره الوحدة وتميل إلى المغايرة ممّا يترك أثراً في اللغة[4]؛ وبالتالي انقسام وتعدد اللغة الواحدة.

6/ أسباب سياسية:

يتجلّى العامل السياسي « في استقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، وذلك أن اتّساع الدولة، وكثرة المناطق التابعة لها، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها، كل ذلك يؤدي غالباً إلى ضعف سلطانها المركزي، وتفكّكها من الناحية السياسية وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض، وغني عن البيان أن انفصال الوحدة السياسية يؤدي إلى

---

[1]- دراسة صوتية ودلالية في اللهجة التواتية ، عبد القادر اقصاصي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2000- 2001. ص:35.

[2]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،(دط)، 1996م، ص: 39.

[3]- اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ -1989م، ص: 86.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص: 87.

انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.»[1]؛ يتّضح من النص أنّ انفصال أي دولة عن غيرها واعتناقها مذهبا سياسياً، يتبعه بالضرورة تغيّراً في الوحدة الفكرية اللغوية.

7/أسباب شعبية:

تتمثّل أساساً فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها، فلا شكّ أنّ لهذه الفروق آثاراً بليغة في تفرّع اللغة الواحدة إلى لهجات مختلفة[2] .

على ضوء ما تقدم ذكره يمكن القول أن انقسام اللغة إلى لهجات ساعد على تفرعها وتكونها أسباب وعوامل مختلفة، ولعلّ أبرزها هو: العامل الاجتماعي وكذا احتكاك اللغات وصراعها.

4/ الفرق بين اللغة واللهجة:

قبل التطرق إلى الفرق بين هذين المصطلحين، لابد لنا من وقفة نستعرض فيها مفهوم اللغة، فقد ذكر اللغويون القدامى وأرباب المعاجم أنّها مشتقة من الفعل" لغا" ولغى"، فنجد أقدم تعريف للغة في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، حين ذكر في مادة "لغا"، "لغو":« اللغة واللغات واللغون: اختلاف الكلام في معنىً واحد. ولغا يلغو لغواً يعني اختلاط الكلام في الباطل وقول الله عزّ وجلّ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾[الفرقان: 72]، أي بالباطل ، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾[فصلت:26]؛ رفع الصوت بالكلام ليغلطوا المسلمين. وألغيت هذه الكلمة أي رأيتها باطلاً، وكذلك ما يلغى من الحساب وفضلاً في الكلام وحشواً ...ولاغية في قوله تعالى:﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴾،[الغاشية:11]؛

[1]- علم اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، أبريل، 2004م، ص: 175.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص: 175- 176.

كلمة قبيحة أو فاحشة.»[1]؛ يبدو من فحوى النص أن مادة "لغا"، اتخذت عدة معان، استقاها الخليل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وهناك من قال أن اللغة مأخوذة من لَغِيَ بالشيء، ففي المصباح المنير نجد:« لَغِي بالأمر يلغى من باب تعب: لهج به ويقال اشتقاق اللغة من ذلك وحذفت اللام وعوّض عنها الهاء وأصلها لُغْوَة مثال: غرفة، وسمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم»[2]، وكأنه أراد بهذه الدلالة معنى اللهجة.

هذا عن المعنى اللغوي أما التعريف الاصطلاحي للغة فقد اختلفت الأنظار فيه وتعددت من طرف علماء اللغة، ولاسيّما المحدثين وذلك وفقاً « للمناهج التي يدرسونها، ففريق يعرّفها على أساس عقلي أو نفسي...، وفريق آخر وهم علماء الفلسفة والمنطق نظروا إليها باعتبار وظائفها ...»[3]. وإذا ما عدنا إلى علمائنا القدامى، فسنجد اللغوي ابن جني يعرّفها بقوله:« أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[4].

وتعقيباً على هذا التعريف يرى أحد الباحثين أنّ ابن جني كان جامعاً شاملاً وموجزاً في تعريفه، يسبق فيه ما جاء به غيره، لأنه يعرض فكرة الأصوات اللغوية، ثم يذكر وظيفة اللغة في المجتمع حين تعبّر عن آراء كل قوم وشؤونهم الحياتية، أما القوم عند ابن جني فتعني المجتمع وخاصة أن لفظة المجتمع لم تستعمل في المعنى الذي نقصده الآن، وإنما العرب استعملوا لفظة القوم للدلالة على المجتمع كما نفهمه في العصر الحديث[5]، وبهذا يتبيّن لنا دقة القدماء في تعريفهم للغة.

---

[1]- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة (لغا)، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003م- 1424هـ، ص:92.

[2]- المصباح المنير، ص: 212.

[3]- المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، ص: 52.

[4]- الخصائص، ابن جني، ص: 33

[5]- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، ص: 62.

وقد ورد في بعض المعاجم المصطلحات أن « اللغة أصوات وألفاظ مرتبة على نسق معين تترجم الأفكار التي تجول في النفس إلى عبارات وجمل تواضع عليها أهلها»[1]. بمعنى أن اللغة مجموعة أصوات وكلمات تعبّر عمّا في النفس في شكل صور ذهنية مترجمة إلى عبارات وجمل معبّرة، وهذا ما أكّده ابن خلدون حين أشار إلى تعريف اللغة بقوله:« اللغات إنما هي ترجمان عمّا في الضمائر من تلك المعاني يؤيدها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث في العلوم، لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك.»[2]، هذا عن العرب أما علماء الغرب فنكتفي بتعريف دي سوسير للغة، فقد عرّفها بقوله:« هي نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبنّاها مجتمع ما، ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة.»[3]، فانطلاقا مما سبق ذكره يتّضح لنا أنّ اللغة شغلت تفكير العلماء القدامى والمحدثين من العرب والغرب، وليس علماء اللغة فحسب، بل حتّى علماء الاجتماع والنفس والفلسفة...، ولهذا جاءت تعريفاتها مختلفة، كل حسب نظرته والغاية التي تخدمه.

بعد هذا العرض السريع والمبسط لمفهوم اللغة، نتطرق إلى عنصر آخر من أجله عرّفنا اللغة ألا وهو: ما الفرق بين اللغة واللهجة؟

يكاد يجمع أغلب الباحثين على أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام، وهذا ما نبّه إليه إبراهيم أنيس حين قال أن:« العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها

[1]– معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1405هـ – 1985م، ص:205.

[2]– المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الوافي، ط3، دار النهضة المصرية، 1979م، 1264/3، نقلا عن فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006م، ص:13.

[3]– فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص:15.

من اللغات.»[1]وهذا ما ذهب إليه رمضان عبد التواب لما قال أن كل لغة كانت يوماً ما لهجة من لهجات كثيرة للغة معيّنة، وبعدها حدثت عوامل مختلفة، أدت إلى موت اللغة الأم واندثارها، وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض، فكونت بذلك لغة لها خصائصها ومميّزاتها التي تنفرد بها عن أخواتها، مثلما حدث للغات السامية، ومنها العربية التي بدورها انقسمت إلى لهجات مختلفة ماضياً وحاضراً.[2]

وهناك من فرّق بين اللغة واللهجة على أساس العناصر والخصائص لكلا النظامين، فاللهجة لا تكتفي بنفسها، واللغة تكتفي بنفسها بالنظر إلى العناصر والخصائص الأساسية التي تقوم عليها أنظمتها، فنجد تلك العناصر في اللهجات متداخلة متشابكة، بحيث يظهر من المتعذر إنشاء حدود فاصلة بين لهجة وأخرى بحكم أن عناصر هذه اللهجة واحدة تقريباً، فما تشترك به مع غيرها أكثر مما تنفرد به، أما اللغة فعناصرها تتوزع وتنتشر في كل اللهجات التي تتضمّنها، فوجود هذه العناصر في لهجات اللغة يترتب بأنها عناصر اللغة وخصائصها استعارَتْها منها اللهجات[3].

وللتوضيح أكثر نضرب مثالاً لذلك فنقول: أن العربية مثلاً لغة مكتفية بذاتها محتوية على عناصرها، سواء أَنظرنا إليها في نفسها أم موازنة بلغة أجنبية أخرى كالإنجليزية مثلاً، أم موازنة بالعاميّات في الوطن العربي. أمّا اللهجة المصرية مثلاً فهي لغة إذا نظرنا إليها في ذاتها أو موازنة بلغة أجنبية، ولكنها لهجة إذا وزنت بالفصحى أو غيرها من اللهجات العربية[4].

---

[1]- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 17.

[2]- ينظر فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1420م -1999م، ص: 73.

[3]- ينظر في اللهجات العربية ، محمد أحمد خاطر، ص:52.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص: 53.

فبإلقاء نظرة فاحصة في التفريق السابق يمكن القول أنّ اللهجة ابنة اللغة المتفرعة عنها، فلا يمكن للهجة أن تستغني عن اللغة لأنها تستمد منها عناصرها و خصائصها التي يقوم عليها نظامها.

يضاف إلى ذلك المكان بمعنى أنّ« بيئة اللهجة جزء من بيئة اللغة فالحدود مفتوحة تقريبا بين اللهجات، ولكنها مغلقة تقريبا بين اللغات، ومن السهل أن تحدد البيئة التى توجد فيها العربية أو الفرنسية مثلا، وليس الأمر كذالك لو حاولت أن تحدد المدى الذي تصل إليه لهجة القاهرة مثلا في مصر، أو في الوطن العربي، و الحدود المكانية التي تفصل لغة عن لغة واضحة غالبا، وليست كذلك في اللهجات.»[1]، ولعل صعوبة تحديد البيئة في اللهجة مردّه إلى وجود عدة لهجات في بيئة واحدة في بعض الأحيان، أما اللغة فتكون شاملة للبيئة التي تنسب إليها.

وجدير بالذكر أنّ اللغة واللهجة ترتبطان بالصوت، وإن كانت جهة الارتباط تختلف قليلاً، فاللغة ترتبط بالصوت من حيث إفادة المعنى الموضوع لأجله، أما اللهجة فترتبط به من حيث صورة النطق وهيئته[2]. وبالفعل فإنّ للصوت دور مهم في ربط العلاقة بين اللغة واللهجة والتفريق بينهما، كما سبق معنا أثناء معالجة الصفات التي تتميّز بها اللهجات.

وعليه يمكن القول أن علماء اللغة فرّقوا بين اللغة واللهجة بدقة واضحة، وهذا ما ظهر لنا جلياً في مؤلفات علماء اللغة المحدثين باعتبار أن علماءنا القدامى عبروا باللغة عن اللهجة، فلا يمكن أن يدرك الفرق إلاّ من خلال السياق، أمّا المحدثون فقد بيّنوا ذلك بوضوح وكادوا أن يتّفقوا على أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص.

[1]– في اللهجات العربية ، محمد أحمد خاطر ، ص: 54.

[2]– ينظر المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، ص: 58.

المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافيا

من المعلوم أن انقسام اللغة وتعدّدها ينتج عنه ما يعرف باللهجات، والتي تختلف من بيئة لأخرى مشكّلة تموضعات جغرافية، فهذا التوزيع المكاني للهجة خاصة واللغة بصفة عامة ، يعالج ضمن ما يعرف باللسانيات الجغرافية ، وهكذا فإن « البحث اللغوي في اللهجات يقتضي التعرف على مواطن هذه اللهجات وعلى الناطقين بها، كما أن الدراسة الأدبية لشاعر من الشعراء تقتضي التعرف على عصره ومجتمعه والظروف المحيطة به.»[1] وهذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي:

1/ مفهوم عام حول اللسانيات الجغرافية:

يدرس هذا العلم الإطار الجغرافي للسان محدّد، أي المجال المكاني الذي يتكلم فيه[2]، فهو يساير انتظام المجتمعات البشرية في مستويات وطبقات اجتماعية، يناسب هذا التوزيع الاجتماعي توزيع لغوي، حيث أن هذه الطبقات تتميّز باستعمالات لغوية تسمّى بعلم الاجتماع اللّغوي[3].

فالاهتمام بالعامل الجغرافي أثناء التعامل مع الظاهرة اللغوية نزعة قديمة فالدارسون العرب الأقدمون أسّسوا تحرياتهم اللغوية على الجانب الجغرافي، ويظهر ذلك في حرصهم الشديد على تحديد رقعة الفصاحة تحديداً جغرافياً.[4] وليس هذا فحسب بل هناك من اتّجه إلى« دراسة الكتب

---

[1]– اللهجات في كتاب سيبويه أصواتاً وبنية، صالحة راشد غنيم آل غنيم، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ط1، 1405هـ – 1975م، ص:18.

[2]– اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2010م، ص: 47.

[3]– مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2000 – 2006م، ص: 173.

[4]– ينظر مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2006، ص: 169.

الجغرافية من منظور لساني؛ دراسة تحليلية للجوانب التي بحثت في لغات الأقاليم، ووصفها وصفاً دقيقاً مصحوباً بطرحٍ لأبرز قضايا اللغة، وعلاقة ذلك بعلم اللغة الجغرافي اعتماداً على المنهج العلمي القائم على التدقيق والملاحظة بهدف الكشف عن الشخصية اللغوية عند الجغرافيين والرحّالة العرب، التي حوت كتبهم عظيم الفائدة لجوانب شتّى من علوم اللغة حافلة بآراء العلماء وكلام العرب شعراً ونثراً في حين لم يأخذ هذا الجانب كفايته من العناية والاهتمام.»[1]، ولعلّ هذه بداية الإرهاص الأولي للتفكير الجغرافي العربي، فالتوزيع اللغوي حسب القبائل يمثّل بلا شك خرائط وأطالس لغوية تتفق مع ذلك العصر.

وعليه فالعرب القدامى عرفوا هذا النوع من الدراسات اللغوية، أي علاقة اللغة بعلم الجغرافيا، إلاّ أنه لم يدرس بطريقة منهجية واضحة المعالم كما هو الشأن في العصر الحديث.

فاللسانيات الجغرافيا هي:« علم يتناول التوزيع الجغرافي في اللغات واللهجات وحدود الظواهر اللغوية- صوتية أو نحوية أو دلالية_ ويهتم بوضع أطلس لغوي بين المناطق والجزر اللغوية.»[2]، ويسمّى هذا العلم أيضاً ب« الجغرافيا اللغوية:Linguistiq géographiie »[3]، ولابد من الإشارة إلى أنّ هذا العلم « قد ولد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أيدي الغرب، ويعدّ الفرنسي (جول جييرون 1854- 1926م)، من رواد هذا العلم وذلك بكتابه الصادر عام1912م، والموسوم ب(منهج الجغرافيا اللغوية: Linguistique etudes de geaographic) »[4].

---

[1]- مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 104، السنة السادسة والعشرون، كانون الأول، 2006م- ذو الحجة 1427هـ، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافيا المعاصرة، مازن عوض الوعر.ص: 167.

[2]- المعجم المفصّل في فقه اللغة، مشتاق عبّاس، ص: 119.

[3]- معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي- انكليزي- عربي، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ص: 170.

[4]- المعجم المفصّل في فقه اللغة ، ص:119.

وعليه فعلم اللغة الجغرافي يقوم بدراسة وتصنيف اللغات واللهجات حسب موقعها الجغرافي، وتنتهي هذه الدراسة بوضع الأطالس اللغوية.

2/ وظيفة علم اللغة الجغرفي:

لقد حاول الباحث "ماريوباي" في كتابه " أسس علم اللغة" أن يحدد عدّة وظائف واهتمامات يعالجها علم اللغة الجغرافي تتمثّل فيما يأتي بيانه[1]:

_ يتناول علم اللغة الجغرافي لغات المناطق المتنوعة على وجه الأرض، وكيف يمكن الاستفادة منها، أو إحلال غيرها محلّها، وماذا تمثّل من وجهة النظر العملية للرجل العسكري، والموظف الحكومي، والباحث العلمي والفني. ولتحرك هذه الطبقات ونحوها فإنه لا يكفي أن يعرف الفرد منهم معلومات سريعة عن لغات منطقة معيّنة، فلا بد من تلقينهم بعض معلومات سريعة عن لغات مناطق أخرى.

_ ضرورة إعداد دراسات مفصّلة، وعمل إحصاءات عن اللغات، والأمية والمركز التعليمي لمناطق العالم المختلفة.

_ بيان عدد المتكلمين بكل لغة من اللغات وتوزيعها الجغرافي، وكذا وصفها.

_ إعداد علماء لغة جغرافيين مدربين يمكنهم أن يسايروا التطورات السريعة المتوقعة في هذا الحقل.

_ يهتم علم اللّغة الجغرافي بالوضع الحالي للغات العالم، عاقدا المقارنة بينها على ضوء العوامل الموضوعية الحديثة مثل عدد المتكلمين، التوزيع الجغرافي، احتمالات الاستفادة منها، وأهميتها العلمية و السياسية والثقافية...، في إطار عالمنا الذي نعيش فيه.

_ دراسة بعض العوامل كاللغات المحلية، ومجالات النفوذ اللغوي، و اللغات الوطنية و الاستعمارية، مع تتبع نفوذ الأخيرة على الأولى و كذالك دراسة موضوع اللغات الأولية و

[1]– أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ 1998م، ص: 64– 65، 186، 217.

الثانوية، في منطقة معينة، وما يترتب على ذلك من ثنائية اللغة او تعددها، و يعطي اهتماما أيضا لموضوع إحلال لغة محل أخرى.

_ الاهتمام بمشكلة التعايش السلمي بين لغتين أو أكثر في مكان واحد، أو احتكاكهما و تبادل التأثير و التأثر بينها.

من هنا نرى أن الوظيفة الأساسية للسانيات الجغرافيا هي وصف توزيع اللغات و اللهجات في مناطق العالم المختلفة بطريقة علمية موضوعية من أجل توضيح أهميتها السياسية و الاجتماعية و الثقافية.

وللإفادة فإن المسح الجغرافي للهجات العربية المختلفة في البلاد العربية له فوائد جليلة أهمها:[1]

_ دراسة هذه اللهجات لذاتها، دراسة علمية عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، ولمعرفة التغيرات المختلفة، التي تطرأ عليها من وقت لآخر.

_ إثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافي كتابة تاريخ هذه اللغة، في عصورها المختلفة، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلة باللغة الفصحى وأبعدها عنها.

_ يمدنا هذا المسح الجغرافي بالمعلومات اللازمة، لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي، ويفسّر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللهجات في تراثنا العربي.

_ يتيح لنا هذا العمل، فرض الدراسة المقارنة، ليس بين اللهجات واللغة الفصحى فحسب، ولكن بين اللغات السامية المختلفة كذلك.

وبهذا يقتضي المسح الجغرافي للهجات العربية ولا سيّما القديمة التركيز على ناحيتين مهمتين هما:[2]

---

[1]– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ – 1997م، ص: 149.

[2]– اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص:07.

_ دراسة للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية

_ دراسة للقبائل العربية ومنازلها من شبه الجزيرة.

ذلك أن« الدرس اللغوي الحديث يعتمد اعتماداً كبيراً على الجغرافيا اللغوية Linguistic Geography وارتباط دراسة اللهجات على وجه الخصوص بهذه الجغرافية اللغوية أصبح من القوة بحيث يقرّر كارول Caroll أنّ هذا المصطلح قد تطوّر إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون "الجغرافيا اللهجية Dielect Geography".»[1]

بعد أن تعرّفنا على أهم الوظائف والفوائد التي يمليها علم اللغة الجغرافي ننتقل إلى عنصر آخر يتعلّق بالتّنوّع الجغرافي وأسبابه.

3/ أسباب التنوّع الجغرافي:

يرى دي سوسير أن أبرز ما يظهر في دراسة اللغات هو تنوّعها، أي تلك الفروق اللغوية التي تظهر عند الانتقال من بلد لآخر، فكثيراً ما يغفل الملاحظ التنوّع الزماني، أ ما التنوّع المكاني فيظهر للمرء في الحال، بل يدركه الرجل البدائي نتيجة اتّصاله بأبناء قبيلة تتكلم لغة أخرى، فظاهرة التنوّع الجغرافي أول مسألة لاحظها علم اللغة، وقد حدّد هذا التنوّع المراحل الأولى للبحث العلمي في اللغة المختلفة، ويعود ذلك إلى عدم تجاوزهم حدود بلاد الإغريق.[2]

وقد قام دي سوسير برصد أهم أسباب التنوّع الجغرافي، سنحاول إيجازها فيما يأتي:

_ يعد الزمن العامل الأساسي في هذا التنوّع، فلو نقلت لغة ما مستعملة في مكان محدد – كجزيرة صغيرة– وزرعها المستوطنون في مكان محدد آخر– جزيرة أخرى مثلاً– بعد مرور مدة من الزمن تظهر فروق المفردات والقواعد واللفظ، تفصل اللغة الأصلية عن اللغة التي زرعها المستوطنون، حيث يرى دي سوسير أنّه من الخطأ الاعتقاد أنّ اللغة المنقولة هي التي تتغيّر وحدها، وتبقى اللغة الأصلية ثابتة أو العكس، قد يظهر التغيّر في إحدى اللغتين أو فيهما معاً.

---

[1]– اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي ، ص: 07.

[2]– ينظر علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد،(دط)، (دت)، ص: 214.

فدراسة المسألة من جانب واحد لا تفي بالغرض، لأن العناصر الجديدة في اللغة الأولى مهمة كاللغة الثانية[1].

_ تأثير الزمن في المنطقة المتصلة: قد تسيطر لغة واحدة على منطقة جغرافية بأكملها، في لحظة معيّنة من التأريخ وبعد مرور خمسة قرون، أو عشرة، ربما لايستطيع سكّان جزء هذه المنطقة أن يفهموا لغة السكّان جزء آخر بعيد عنهم، ومع ذلك يفهم سكّان كل جزء من المنطقة لغة سكّان الجزء المجاور لها، فالمسافر من نهاية هذه المنطقة إلى نهاية الأخرى لن يلاحظ سوى فروق محلية صغيرة، من مكان لآخر، لكن المجموع الكلي لهذه الفروق يزداد تدريجيّاً إلى أن يصل المسافر إلى لغة لا يفهمها سكّان المكان الذي بدأ منه سفره[2].

يفهم من هذا أن وجود المناطق الجغرافيا المتجاورة والمتميّزة يفسّر تنوّع أشكال اللسان حسب الأماكن بتأثير الزمن.

_ يرى دي سوسير أنّ اللهجات ليس لها حدود طبيعية، فبقدر وجود الأماكن الجغرافية توجد اللهجات، وهذا عكس الرأي السائد، وهو عدّ اللهجات أنماطاً لغوية محدّدة متميّزة لها حدود في جميع الجهات، وتغطي هذه اللهجات مناطق جغرافية متميّزة[3]. فيمكن التعرف على لهجة من خلال صفاتها وميزاتها ولكن من الصعب تحديد المكان الذي تبدأ منه وتنتهي إليه، فمثلاً « لهجات اللغة العربية يمكن التعرّف على خصائص كل منها مصرية أو سورية أو عراقية...، ولكن لا يمكن أن يعرف بالتحديد المكان الذي تنتهي عنده السورية أو غيرها للتداخل الشديد بينها.»[4]، والأمر نفسه في دراسة اللهجات العربية القديمة، كما ذكر بعض الباحثين أنّ « للدراسة اللغوية الجغرافيا في الجزيرة خاصية فريدة، هي أنّ الوحدة اللغوية [أي الجماعة اللغوية] كانت تنتقل راحلة من مكان لآخر على بعد شاسع، وعلى هذا فإنّ تحديد مواطن هذه

[1]- ينظر علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير ، ص: 219.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص: 222

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص:222- 223.

[4]- اللهجات العربية نشأة وتطوراً، ص: 399.

الوحدات على خرائطنا ليس ممثلاً للواقع بل هو مجرّد صورة تقريبية لتقسيم اللهجات وقد يكون في هذه الصورة بعض الخطأ.»[1]، خاصة بعض الاتّجاهات كالحدود الجنوبية للهجات شمال الجزيرة فمن الصعب تحديدها[2]. ولعلّ ذلك يعود إلى شساعة المساحة وتنقّل القبائل العربية بين هاته المناطق.

_ كما يرى دي سوسير أيضاً أنّ من بين أسباب هذا التنوّع، هو أنّ اللغات ليس لها حدود طبيعية، ولاسيّما اللّغات المتقاربة (التي لها أصل واحد)، بحيث لا يمكن رسم الخط الفاصل بين الفرنسية والإيطالية مثلاً، بالرغم من أنّ هناك نقاط واضحة يمكن جزم أنّ " الفرنسية تسود هنا والإيطالية تسود هنالك"، ولكن التمييز يختلف في المناطق التي تقع بين هاتين النقطتين، فالخطوط الفاصلة بين اللغات كالخطوط الفاصلة بين اللهجات تختفي في مراحل الانتقال[3].

فهذه أهم الأسباب التي تساهم في التّنوّع الجغرافيا، حيث فصّل فيها العالم فرديناند دي سوسير بالشرح والتمثيل.

4/ الأطلس اللغوي:

سبق وأنْ عرفنا أن من الوظائف الأساسية لعلم اللغة الجغرافي هو وضع حدود لغوية للهجات المختلفة في شكل خرائط تبيّن معالم كل لهجة من حيث المكان وعدد المتكلمين وما إلى ذلك، فمجموع هذه الخرائط تسمّى في الاصطلاح الحديث بالأطالس اللغوية، وهذا ما سنحاول معالجته في هذا العنصر:

---

[1]– اللهجات العربية الغربية القديمة، تأليف: HAIM RABIN، ترجمة: عبد الرحمن أيّوب، دار السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، 1976م، ص: 44.

[2]– ينظر دراسات في تأريخ اللغة العربية، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1، 1421هـ – 2000م، ص: 113.

[3]– ينظر علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ص: 225.

أ/ تعريف الأطلس اللغوي:

يعرّف على أنّه:« أطلس يحتوي على خرائط تبيّن كلّ منها المنطقة الجغرافية التي تسود فيها سمة لغوية معيّنة من حيث النحو أو الصرف أو المفردات أو اللفظ، كما يبيّن توزيع اللهجات جغرافياً.»[1]، وللتفصيل أكثر فإنّ الأطلس يتكوّن من مجموعة من الخرائط، قد تصل عدة آلاف، حيث توضّح كل منها ظاهرة أو أكثر من اللهجة أو اللغة، ويستعان في توضيح هذه الظواهر بمجموعة من الرموز من الأشكال الهندسية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة وما إلى ذلك[2].

وتذكر المراجع أنّ الأطالس نوعان هما[3]:

_ تحليلية: وفيها تتناول الخريطة عنصراً واحداً، كنطق القاف، أو الجيم مثلاً في البلاد العربية، أو الكلمات التي يدلّون بها على الرجل أو البيت، أو العبارة التي تؤدّى بها التحية، أو تقال في استقبال أو وداع ونحو ذلك.

_ تركيبية: وفيها توضّح الخريطة عنصرين أو أكثر، كصيغ الفعل الماضي أو أنواع الجمع، أو الضمائر، أو أنواع الجمل، أو نطق حروف الشفة مثلاً.

ب/ بداية ظهور الأطلس اللغوي:

لاشكّ في أنّ الأطلس اللّغوي كانت له بذوره في دراسات علمائنا القدماء ويظهر ذلك جلياً أثناء جمعهم للنصوص اللغوية التي استخلصوا منها قواعد اللغة العامة، وفيما جمعوا من نصوص تتعلّق ببعض اللهجات السائدة في بعض مناطق الجزيرة، إلاّ أنّ في العصر الحديث ظهرت مستجدات وتطورات علمية كالأجهزة والآلات المعملية وطرق القياس المستحدثة التي يسّرت طرق الدراسة في اللهجات وتحديد خصائصها وكذا الأماكن التي توجد فيها[4].

---

[1]- معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، ص: 168.

[2]- ينظر في اللهجات العربية، أحمد خاطر، ص: 16.

[3]- المرجع نفسه، ص: 16.

[4]- ينظر اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، ص:400.

وقد بدأت فكرة عمل الأطلس اللغوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان رائداً هذا النّوع من الدراسة، التي اعترف علماء اللغات بمالها من نفع في حل المشكلات اللغوية، هما:" ڤنكر" Wenker، الألماني، و"جليرون" Gilliéron، الفرنسي، حيث قام كل واحد منهما بعمل أطلس لبلاده، فقد ظهر الأطلس اللغوي لفرنسا بين عامي1902- 1910م، وعنوانه: Atlas linguistique de la France، أما الأطلس الالماني فقد نشر جزء منه وهي الدفعة الأولى، وكانت مكونة من ست خرائط في عام1881م، وبعدها انتقلت فكرة عمل الأطالس اللغوية إلى بعض البلاد الأخرى، كإيطاليا، وسويسرا، والسوّيد، والنرويج، والبرتغال، وانجلترا، أي أنّها شملت معظم بلاد أوربا، بل تعدّتها إلى أمريكا، وبعض البلدان الشرقية[1].

وممّا يستحقّ الذكر أنّ العالم اللّغوي السويسري" شْتَيْجَر Steiger" قد أبان عن قيمة الأطلس اللغوي، وأهميته للغة العربية، بقوله:« وبالنسبة للغة العربية، نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوي لها، سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، لأنه سيكمل من غير شك، الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلّقة باللهجات، وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطّلاعنا على تاريخ الأصوات، والتغيّرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثّرها بالمراكز الثقافية ... إنّه سيكوّن عملاً ثقافياً من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخر في تاريخ الثقافة العالمية.»[2]، فهذا إن دلّ إنّما يدل على الاهتمام الكبير باللهجات العربية من طرف الباحثين العرب والغربيين.

ج/ طرق إعداد الأطالس:

اشتهر في طرق إعداد الأطالس طريقتان هما: ألمانية وفرنسية.

1/ الطريقة الألمانية:

[1]- ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص: 150، 151.

[2]- المرجع نفسه، ص: 149، 150.

وهي طريقة ابتكرها وقام بتنفيذها " ڤنكر Wenker"، تتلخص طريقته في أنه قام بتأليف أربعين جملة، تمثّل أهم ما يجري على ألسنة النّاس في حياتهم اليومية بألمانيا، وطبعها على شكل استمارة تحوي بيانات عن الرّاوي والمسجّل اللغويين، والجهة التي سجلت فيها اللهجة، ثمّ تأتي الجمل الأربعون، حيث أرسلت هذه الاستمارات إلى جهات مختلفة في ألمانياً، والتي بلغ عددها حوالي خمسين ألف جهة[1]، وهكذا « يقوم المسجّل اللغوي باستطلاع رأي الراوي اللغوي الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التي يراد دراستها، فيسجّل الكلمة أو العبارة أو الجملة التي ينطقها الرجل العادي في الشائع من الاستعمال اللغوي في الحياة العادية للمجتمع ممّا يقابل النطق النموذجي للغة العامة.»[2]، ثمّ تبدأ عملية إعداد الأطلس وهذا بعد أن تجمع الإجابات في المركز الرئيسي لعمل الأطلس، حيث يبدأ بعمل خريطة لكل كلمة على حده، وذلك بأن تفرّع أولاً: صور اللفظ، وصيغه، ومترادفاته على خرائط تفصيلية تكون مستعملة على بلاد الأقاليم جميعها، ثمّ تحدّد عليها المناطق اللغوية المختلفة، ثمّ ترسم خريطة عامة انطلاقاً من الخرائط التفصيلية تبيّن الحدود النهائية للمناطق اللغوية واللهجية إجمالاً[3].

2/ الطريقة الفرنسية:

لقد سادت هذه الطريقة فترة طويلة في عمل الأطالس اللغوية، حيث تقوم على أساس عمل خريطة للإقليم، الذي يراد وضع أطلس لغوي له، وتختار منه مناطق مختلفة، يلاحظ فيها أنّها تمثّل إلى حدّ كبير البيئة اللغوية التي توجد فيها المنطقة، وبعد هذا يؤلف كتاب خاص يحتوي على مابين ألفين أو ألفين وخمسمائة سؤال يسمّى بكتاب الأسئلة اللغوية، الذي يجعل له عدة نسخ توزّع على المسجلين اللغويين، ولابد أن يكونوا مدربين تدريباً كاملاً من الناحية الصوتية[4].

---

[1]- ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص: 153،151. وفي اللهجات العربية، أحمد خاطر، ص:16، 17، 18.

[2]- اللهجات العربية، نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، ص:402.

[3]- ينظر المدخل إلى علم اللغة، ص: 153.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص: 153، 154.

وبعدها يذهب المسجل إلى القرية أو المدينة آخذاً بعين الاعتبار التعبير الدقيق والنطق الصحيح لكل ما يراد معرفته والإجابة عنه في الكتاب المذكور مدوّناً الإجابات في الصفحات المقابلة للأسئلة، وإذا تمّ ارتياد المدن والبلدان المعيّنة على الخريطة التي وضعت أساساً للعمل، جمعت صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها من أجل وضعها في صورتها النهائية على الخريطة، ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة التي يجري اللفظ فيها على ألسنة أهلها[1].

_ الفرق بين الطريقتين:

تنحصر الفروق بين الطريقتين الألمانية والفرنسية في عمل الأطالس اللغوية فيما يلي[2]:

_ الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول، لأنها لا تترك جهة إلاّ ذكرت رواية اللفظ فيها.

_ الطريقة الفرنسية أدق من الألمانية؛ لأن المسجلين اللغويين، قد دربوا التدريب المكاني في مسائل اللغويات والأصوات، وبذلك يعدّون ثقة، فيما يدوّنون عن الرّواة اللغويين.

_ الطريقة الفرنسية، طريقة مباشرة في الأسئلة، فليس هناك نموذج يمكن أن يؤثر على انطلاق الراوي على سجيته، بعكس الطريقة الألمانية لأن جملها الأربعين، أسئلة بطريقة غير مباشرة، قد تؤثّر على لغة الراوي، ولذلك كانت الطريقة الألمانية أقل دقة من الطريقة الفرنسية في هذه النقطة كذلك.

هذه أهم الفروق بين الأطلسين، فكل طريقة لها جوانب إيجابية وجوانب سلبية، في حين نجد أنّ الاتّفاق بينهما يكمن في أنّ « كلا الطريقتين يشترط في الراوي اللغوي أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافياً أو اجتماعياً، وأن تتوافر عنده قدر كبير من الوعي والفهم للأسئلة بحيث يمكنه الإجابة عليها دون تعثر او انحراف.»[3]

---

[1]- ينظر المدخل إلى علم اللغة، ص: 154، 155، 156.

[2]- المرجع نفسه، ص: 157.

[3]- اللهجات العربية نشأة وتطوّراً، ص: 404.

ويذكر "ماريوباي" أنّ هناك « واحد من أهم العيوب التي تقلّل من قيمة الأطلس اللغوي، وهو أنه لا يثبت على مرّ الزمن ما دامت اللهجات المحلية تتغيّر ربما بدرجة أسرع من اللغة الوطنية، ولهذا فإنه في بعض الأحيان يعاد إجراء عملية المسح اللغوي بعد مرور سنوات عدة، ويصبح من الممكن حينئذ عمل مقارنة بين نتائج الأطلسين وتكوين صورة شبه تاريخية عن التغيرات المتشابكة في كلام مجتمع معيّن.»[1]

ومهما يكن فالأطلس اللغوي يبقى مرجعاً أساسياً للعالم اللغوي، فالأطلس اللغوي لا يبقى ثابتاً وإنّما قابل للتّغيّر بسبب التطوّرات السريعة التي تحدث للغة.

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الأطلس اللغوي يشتمل على عدة خرائط بطريقة هندسية محكمة من أجل الوقوف على أماكن انتشار لغة أو لهجة معيّنة والتعرّف على أهم خصائصها وسماتها اللغوية، وبيان أوجه الشبه والاختلاف بين الألفاظ من الناحية الصوتية والدلالية وحتّى التركيبية وذلك تبعاً لاختلاف المناطق، وكل هذا يتطلّب جمع معلومات دقيقة من طرف الرّاوي والمسجّل حتّى تكون النتائج أدق، وعليه فالأطلس اللغوي يعتمد بالدرجة الأولى على مفردات اللغة باعتباره عملاً لغوياً يتمّ في ضوء البيئة الجغرافية.

[1]– أسس علم اللغة، ماريوباي، ص: 133.

الفصل الثاني

دراسة في كتاب " اللسانيات

الجغرافية في التراث اللغوي العربي"

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ومنهجية الباحث فيه.

1/ التعريف بالكتاب:

يندرج الكتاب ضمن المؤلّفات أو المراجع اللغوية اللهجية الحديثة، فقد حاول عبد الجليل مرتاض في مؤلّفه تبيين دور العرب القدامى في البحث اللهجي واللسانيات الجغرافية؛ التي كان يقصد بها التموضعات اللهجية لكل منطقة أو قبيلة عربية من حيث المستويات اللغوية.

ولعلّ الباحث في كتابه كان يسعى إلى التنقيب عن هذا العلم–علم اللهجات– وبذوره الأولى في كتب التراث التي تناولت جمع اللغة وتوثيقها من طرف علماء اللغة الأوائل، فأراد أن يعالج هذه المعلومات التي تتعلّق باللهجات واللسانيات الجغرافية عند العرب من خلال تتبّعه لمدونات شتّى في الشعر والنثر.

وعليه فالكتاب يعد من المؤلفات التي أثْرت الدرس اللهجي الحديث عند العرب، فهو ينظّر– إن صح التعبير– لعلم اللهجات العربي بما فيه اللغوي والأدبي من خلال ما جاء مبثوثاً في كتب القدامى والتي تزخر بمادة لهجية خام مازالت تحتاج إلى البحث والتنقيب.

وسنتعرّف على الكتاب أكثر أثناء التطرّق إلى منهج الباحث فيه، في العنصر الموالي:

2/ منهجية الباحث في الكتاب:

– اعتمد الكاتب في تأليف كتابه خطة مقسمة إلى ستة فصول– كما ورد في مقدمة الكتاب– جاءت كالآتي: الفصل الأول تناول فيه المستويات الخلفية التي كانت مقدمة طبيعية لظهور هذا الحقل الديالكتولوجي*مبعثراً ومشتّتاً في المؤلفات الأدبية والنقدية واللغوية العربية القديمة، أمّا الفصل الثاني فقد تطرّق فيه إلى إثارة الإشكالية التقليدية حول العربية المشتركة.

* العلم الذي يبحث فيه اللهجات وظواهرها وتسمياتها وما يلازمها من مصطلحات ومفهومات، ناهيك عن تحديد مناهجها المختلفة التي يستعين بها الدارس في تآليفه وبحوثه، وقد عرّب هذا المصطلح المشتق من لفظ وضع للهجة التي تسمّى عندهم ب: (Dialect)، في حين ترجم بعض الدارسين هذا المصطلح بمصطلح عربي مفاده (علم اللهجات).[المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس، ص:90، 91.]

وعالج في الفصل الثالث مواقع العربية المشتركة من خلال مناطقها ومواقع رواتها، وتطرّق في الفصل الرابع إلى دراسة التموضعات أو التوزيعات الجغرافية للتكلمات اللهجية المحلية، أما الفصل الخامس فخصّصه للسانيات الجغرافية في بعض الكتب العربية القديمة، والفصل السادس خُصّص لعلم اللهجات الأدبي.

– لم يدرج المؤلف خاتمة للكتاب، وهذه الصفة يمكن أن نقول أنّها ميّزت أغلب مصنفاته، وربّما تعمّد ذلك ليترك المجال مفتوحاً أمام القارئ ليستخلص بنفسه أهم النتائج المتوصّل إليها من اطّلاعه للكتاب.

_ بالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث جاءت متنوعة ومتعددة فقد شملت كتب اللغة والأدب والنقد والتراجم وعلوم القرآن.

_ انتهج الباحث عدة مناهج في عرض قضايا كتابه، وذلك نتيجة لطبيعة الموضوع الذي يتّصل بعلم اللهجات، ممّا يحتّم على الباحث الرجوع إلى مناهج شتّى حتّى يستوي البحث لما هو عليه، سنحاول ذكرها على حسب ما تبيّن لنا:

1_ المنهج التاريخي: اعتمد الباحث هذا المنهج أثناء حديثه عن" المستويات الخلفية لظهور اللسانيات الجغرافية عند العرب"[1]، والذي يحتاج من الباحث العودة إلى النصوص اللغوية والأدبية القديمة مع مراعاة الجوانب التاريخية، فمعرفة بعض الحقائق التاريخية مثل:"المواقع الجغرافيا التي أخذ منها رواة اللغة أو ذكر بعض القبائل العربية والتّعرّف على أنسابها ومواطنها "[2] مثلاً، يحتّم على الباحث اعتماد المنهج التاريخي المناسب لذلك.

02_ المنهج الوصفي: يعدّ هذا المنهج من المسالك التي استعان بها الباحث كثيراً ومن أمثلة ذلك: حين معالجته عنصر " نزعة بعض اللغويين إزاء التكلمات المحلية حيث أورد بعض التّكلمات واللهجات المحلية في معجم جمهرة اللغة مع ذكر دلالاتها وبعض الشواهد الموضّحة

[1]– ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر و التوزيع (د ط)، (د ت)، ص07.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص: 25، 49.

أحياناً، حيث يقول وهو يصف تلك التراكيب ويحلّلها:« وحتّى نقف على هذه الحقائق الدالة على أنّ هذا النّوع من الكلمات ذو دلالات نفعية اجتماعية في معظمها، رأينا أن نورد بعض الأمثلة من هذا القبيل... وهذا يحتّم علينا الاهتمام في هذا المجال بالفضاءات الدلالية المشتركة أو المتباينة في دوالها ومداليلها.»[1]

03_ المنهج المقارن: ويظهر أثناء توضيحه لبعض المصطلحات المتشابهة والتفريق بينها، مثال ذلك: حديثه عن تطوّر مدلول اللحن ، وتطوّر مدلول اللهجة قائلاً:« والغريب أن ما وقع لمدلول اللحن حدث للهجة...، وإذا كان اللحن من الأضداد بدلالته تارة على الصواب وتارة على الخطأ...؛ فإنّ اللهجة معجمياً ليست من هذا القبيل...»[2]، مثال آخر وهو: مقارنته بين علم اللهجات اللغوي وعلم اللهجات الأدبي[3].

بالإضافة إلى بعض المناهج الأخرى التي تظهر في الكتاب منها:

_ المنهج الاستقصائي: كاستنباط الباحث لدلالة بعض الألفاظ من خلال تتبعه لمعانيها من منابع شتّى على سبيل المثال قوله:« إنّ المتتبع للعديد من هذه الكلمات تتبيّن له أنّها تدل دلالات متباينة...»[4]، وهناك مصطلحات استخدمها الباحث تدلّ على اعتماده المنهج المذكور منها:« ومن أجل هذه المعطيات... ، والذي يتتبع...»[5]

_ المنهج الإحصائي: يتّضح هذا المنهج جليّاً أثناء تعرّضه لإحصاء أهم الكتب المؤلفة في " اللغات بصفة عامة ولغات القرآن"[6] بصفة خاصة.

---

[1]- اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، عبد الجليل مرتاض ، ص:65.

[2]- المصدر نفسه، ص: 16.

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص: 131.

[4]- المصدر نفسه، ص: 69.

[5]- المصدر نفسه، ص:09، 11.

[6]- ينظر المصدر نفسه، ص:80.

_ لا شك أنّ الباحث في تحليله للمدونات والنصوص الشعرية التي اعتمدها في كتابه كان متأثراً بمناهج الدرس اللغوي الحديث، حيث يتناول اللغة في أغلب مستوياتها المعروفة (الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي،...)؛ وهذا ما فعله حين تعرّض إلى دراسة كتاب " النوادر لأبي زيد الأنصاري ومحاولة الوقوف على أهم الظواهر اللسانية الجغرافيا الديالكتولوجيا التي تتجلّى في الكتاب[1]، وفقا لهذا المنهج المستوياتي.

من بين الخصائص التي تميّز منهجه نجد:

_ استعمال الأسلوب العلمي القائم على استعمال الأدلّة والبراهين، مثال ذلك ما أورده من روايات ونصوص تناقض نظرية الفارابي في تصنيفه لأهم المواقع التي أخذ عنها الرواة والتي لم يؤخذ عنها، فنجده يقول:« وليس معنى هذا أننا نشك في صحة هذه الروايات الأخيرة حول اللغة القرآنية، ولكننا أوردناها فقط على سبيل التناقض الروائي الدال على عدم صحة نظرية الفارابي بكل أبعادها.»[2] فهو يدعّم رأيه بالأدلة العقلية والنقلية من أجل إثبات صحة أو خطأ قضية ما، إضافة إلى استعمال المنطق العقلي كقوله مثلا: " لكن الفرق بين النصين بيّن وواضح وغير محتاج إلى إثبات أو جدل، ولسنا بحاجة إلى التنبيه على ما في النص من تناقض فهو يدل بنفسه على نفسه، ..."[3]، والأمثلة كثيرة على ذلك. كما استخدم أسلوب الاستفهام من أجل لفت النظر وإعمال الفكر كقوله مثلاً:« كما أنهم لم يرسموا لنا خطة مسارهم: من أين انطلقوا؟ و من أين مروا؟ و إلى أين انتهوا؟...»[4]، أو قوله متسائلاً:« لماذا لم يهتد العرب إلى مصطلح علم اللهجات الأدبي؟ »[5]

---

[1]– ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، عبد الجليل مرتاض ، ص:87.

[2]– المصدر نفسه، ص: 34، 35.

[3]– المصدر نفسه، ص: 36.

[4]– المصدر نفسه، ص: 46.

[5]– المصدر نفسه، ص: 136.

_ استخدم الباحث ظاهرة النحت في العربية بتطبيقها على بعض التراكيب اللغوية التي كان يستعملها، وهذه لاشك صبغة جديدة وسَمت كتاباته نذكر منها" الفقلغية: فقه اللغة، العملغية: علم اللغة"[1] ، " الفقلغيون: فقهاء اللغة، العلمغيون: علماء اللغة".[2]

_ من الخصائص التي ميّزت أسلوبه: استعماله لبعض المصطلحات الأجنبية معرّبة، وهذه السمة متكرّرة في أغلب مصنفاته، نذكر منها على سبيل المثال:" الديالكتولوجيا، السانتاكسي، المورفولوجي، اللكسيكية،..."[3]، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على كثرة اطّلاعه في الكتابات الغربية وتأثّره بها.

وللإشارة فإنّ أحد الباحثين اعترض على عبد الجليل مرتاض استعماله لهذه المصطلحات قائلا:« وممّا لا أوافقه فيه استعماله صياغة" البنية السانتاكسية، والأفضل استعمال العربية الجميلة "البنية التركيبية".»[4]

هذه بعض الملاحظات والخصائص التي اتّسم بها منهج عبد الجليل مرتاض في كتابه بصفة خاصة وبعض مؤلفاته بصفة شاملة.

---

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، عبد الجليل مرتاض ، ص: 77.

[2]– ينظر في رحاب اللغة، عبد الجليل مرتاض، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007، ص: 45.

[3]– ينظر في كل من: اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص:19، 27، 39، اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 17.، الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007م، يومي: 04– 05 يونيو2007، بنزل الأوراس، منشورات المجلس2008م، الظواهر لانشطار الفصحى إلى عاميات، عبد الجليل مرتاض، ص: 213.

[4]– مجلة اللغة والاتصال، مسلك اعتراض على ما قال مرتاض، لخضر العسال، ص: 51.

المبحث الثاني: دراسة القضايا اللسانية اللهجية في الكتاب

سنحاول في هذا العنصر أن نستعرض أهم المواضيع التي تطرق لها عبد الجليل مرتاض في كتابه بالدراسة و التحليل.

1/ظهور و نشأة اللسانيات الجغرافيا عند العرب :

تطرق الباحث في هذا العنصر إلى وجود ذلك الإحساس العربي بالتباينات اللغوية، أي ذلك الفرق اللغوي بين أوساط من المتكلمين العرب، حيث يذكر أن «هذا الشعور الواعي بهذه الفوارق اللغوية نجده مبثوثا من خلال ما نقف عليه في مدونات شتى، نعثر عليه في أمثالهم و حكمهم مثلما نصادفه في أشعارهم و أجناسهم نثرية و كلامية عامة و خاصة »[1] ، ولعلّ هذا الإحساس بالفوارق اللغوية بين المتكلمين في أوساط مختلفة لا يزال يشغل الفكر العربي المعاصر .

بعد هذا العرض السريع ينتقل إلى دلالة كلمة "اللغة " في المعاجم العربية ثم يربطها باللهجة، حيث يرى أن لفظة "اللغة "؛ «دلت على أبعاد دلالية متنوعة منها ما هو قرين من صميم معنى اللغة و منها ما لا علاقة له بتاتا بهذا المعنى »[2]، فقد استنبط هذا المعنى من خلال تتبعه لدلالة كلمة "اللغة "و ما اشتق منها في كلام العرب ،ولا سيما الشعر الجاهلي، القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف.

من المفاهيم التي عالجها في هذا الجانب أيضا ما يتعلق بالعرب و الأعراب و الفصاحة و العجمة، أما عن العرب و الأعراب فيرى أن:« لا فرق في هذا بين العرب و الأعراب، أو حتى من الأجانب الذين نزلوا البادية وجاوروا البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف،و استوطن المدن و القرى العربية و غيرها ممن ينتمي إلى العرب، فهم عرب، وإن لم

[1]– اللسانيات الجغرلفية في التراث اللغوي العربي، ص09.

[2]– المصدر نفسه، ص10.

يكونوا فصحاء»[1]، و كأنه أراد هنا أن يربط الفصاحة بالأعراب، أما العرب من استوطن المدن و القرى العربية حتى و إن لم يتصفوا بالفصاحة، و قد استعان الباحث في الوصول إلى نتائجه بكتاب المصباح المنير للفيومي.

أما عن العجمة و الفصاحة، فقد وضّح ذلك حين قال «من ذلك أن كلمة العجمة في اللسان عندهم تعني اللكنة و عدم الفصاحة، و الأعجمي عندهم لايطلق على ما هو غير عربي جنسا إلاّ تجاوزا و مجازا ،لأنها قد تطلق على الأعجمي مثلما تطلق على العربي إذا كان هذا الأخير غير فصيح، مع الفارق في التعميم و التخصيص، و على هذا فلو قال لعربي يا أعجمي بالألف لم يكن قذفا لأنه نسبه إلى العجمة، وهي موجودة في العرب، و كأنه قال :يا غير فصيح.»[2]، يتبيّن من النص أن العجمة ضدّ الفصاحة، و تطلق الأعجمي على غير الفصيح حتى ولو كان عربيّا، وقد وردت هذه المعاني بدقة في المعاجم العربية، وهذا ما أورده الخليل في معجمه حين قال:« الأعجم الذي لا يفصح »[3].

بالإضافة إلى ما قيل نجد أستاذنا يطرق عنصر ليس ببعيد عن الجزء السابق وهو الشعور العربي بالأمراض اللغوية، فذكر بعض العيوب الصوتية مستشهدا بما جاء متناثراً في مدوّنات الشّعر القديم، ونذكر منها ما ورد في الكتاب على النّحو الآتي:

_العي والارتجاج الذي قد يصيب الخطيب كما قال شاعر جاهلي:[4]

هم يطدون الأرض لولاهم ارتمت بمن فوقها من ذي بيان وأعجم

وهم يدعّمون القوم في كل موطن بكل خطيب يترك القوم كظمـــا

يقوم فلا يعيا الكلام خطيبـــنـــا إذا الكرب أنس الجبس أن يتكلما

---

[1]– اللسانيات الجغرلفية في التراث اللغوي العربي ، ص10.

[2]– المصدر نفسه: ص11

[3]– كتاب العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة "عجم"، 105/3

[4] – اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص:12.

وللإشارة فإن الارتجاج أو الرتج هو:« تمنّع أول الكلام فإذا جاء منه شيء اتّصل »[1]، وهذه الصفة تشبه الرتّة التي تعنى العجلة والحكلة في لسان الناطق.

-التمتمة: و هي التردد في التاء، كقول ربيعة الرّقي:

فلا يحسب التمتام أني هجوته و لكنني فضلت أهل المكارم.

-الفأفأة على وزن فاعال مثل ساباط ؛سقيفة بين حائطين و خاتام، و هو التردّد في الفاء .[2]

بالإضافة إلى فوارق أخرى فصّل فيها الباحث بالتعريف و الشواهد، و هي على النحو الأتي[3]:

-العقلة، و هي التواء اللسان عند إرادة الكلام، كما قال الشاعر :

وقد تعتريه عقلة في لسانه إذا هز نصل السيف غير قريب

-الغمغمة: و هو أنك تسمع الصوت،و لا يبيّن لك تقطيع الأصوات، كقول عنترة:

و صاحب ناديته فغمغما يريد لبيك و ما تكلما

الطمطمة: أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم.

اللكنة: وهي أن تعترض في الكلام اللغة الأعجمية.

حيث يرى عبد الجليل مرتاض أن«هذه الأصناف من العجم التي انطبعت بطابع اللكنة – أعني قلب الأصوات– قد تكون ورثته أو سمعته من أفراد بعض البطون العربية التي كان من عاداتها قلب صوت بصوت، ولكن هذا القلب يدخل في باب الفصيح، غير أن الفوارق اللهجية قد تكون اشتبهت على العجم وموالي العرب المتأخرين الذين كانوا يعيشون في أمصار غير عربية، فأخذوا لا يفرّقون بين ما هو فصيح متواضع عليه و بين ما يردون قلبه ظنا منهم بأن هذا القلب صوتي أمر جائز، و جهلا منهم بأن هذا قد يقودهم إلى التورط في لحن صوتي

[1]– محاضرات في فقه اللغة، عصام نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2003م–1424هـ، ص154.

[2]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي، ص:12، 13.

[3]– المصدر نفسه، ص:13، 14.

فظيع لجهلهم بدلالة ما قد يؤدي إليه القلب الصوتي »[1]؛ وكأني به أراد أن يقول أن السبب الرئيسي للكنة هو الانطباع أو السماع أو الاشتباه في الفوارق اللهجية على العجم و موالي العرب المتأخرين.

-الحبسة: يظهر أن توظفيها بهذه الصيغة في الشعر القديم لا يكاد يعثر عليه، و يقال إن الحبسة تعتبر اللسان إذا انقطع طويلا عن التمرين والكلام أو انتقل من لغة إلى أخرى

وللإشارة فإن الحبسة قد أولاها علم اللغة التطبيقي اهتماماً كبيراً، ولا سيما في بعض المجالات كاللسانيات النفسية والعصبية، حيث نجد الدكتور صالح بلعيد يقول في هذا الصدد:« أمراض الكلام ناتجة عن سوء الأداء و قلة القدرة على الكلام، ومنها القلب، العقلة، الحصر، التمتمة، الرتّة، الفأفاة، الهتهتة، الحبسة، التأتأة، الليغ، الخنخنة، اللثغة، وقد سميت هذه الأمراض عامة بالحبسة»[2]، يتضح من النص أن الباحث أجمع على أن مجموع هذه الأمراض اللغوية تدخل ضمن ما يعرف بالحبسة.

تلك هي أهم العيوب الصوتية التي عالجها عبد الجليل مرتاض، بالإضافة إلى أشكال أخرى ذكرها في معرض حديثه تتمثل في ما يلي:« اللثغة، الغنة، الخنة »، و من أجل توضيحها أكثر أورد عبد الجليل مرتاض ملخص للمبرد يذكر فيه هذه الأنماط قائلا،«... و اللثغة أن يعدل بحرف إلى حرف و الغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، الخنة: أشد منها، و الترخيم: حذف الكلام»[3]

-اللهجة:

لقد عدّ عبد الجليل مرتاض تلك الظواهر اللهجية التي انتشرت بين العرب، الخلفية الأساسية لتاريخ علم اللهجات العربي، حين عبّر عن ذلك قائلا:«وإذا كان من الصعب اعتبار هذه العيوب الصوتية من الظواهر اللهجية العابرة لما لها من تفش واسع بين العرب الخلص

[1]- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، عبد الجليل مرتاض، ص: 59.

[2]- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد ، دار هومة، 2003م، (د ط) ص:176.

[3]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص:15، نقلا عن الكامل، للمبرد، 221/2.

أولا، و المتعربين لاحقا فإنه من السّهل علينا في المقابل أن نعتبر هذه الأنماط من التكلمات، الإرهاصات الخلفية لأساس تاريخ علم اللهجات العربي »[1]، ثم يعرّج على مدلول اللهجة فيرى أن مثل اللهجة كمثل اللحن في تطوّر مدلولها، فيذكر في سير كلامه أن«دلالة اللحن على الفطنة و الفراسة و الفهم أمر وارد في كلام العرب، ثم ما لبث أن اشتهر بكل خطأ يقع في أي مستوى من مستويات اللغة .والأمر نفسه بالنسبة للهجة حيث كانت تدل على فصاحة اللسان، ثم ما عتمت أن صارت تدل على كل تكلم لا يرقى إلى مستوى اللغة العامة.»[2] بمعنى أن كلا من اللحن و اللهجة يشتركان في تطور الدلالة، فقد حدث لهما تطور دلالي من الرقي إلى الانحطاط.

ويمضي عبد الجليل مرتاض في حديثه عن المصطلحين موضّحا ومفرّقا بأن اللحن من الأضداد، بينما اللهجة في معناها المعجمي فليست من هذا القبيل، فقد حدّدها بثلاثة عوامل هي:[3]

- عمل متّصل بالخطاب التواصلي الشفوي الذى تجسّده طبقات اجتماعية متباينة في مستوياتها و وظائفها.
- عامل مرتبط بموقع جغرافي منعزل حينا و متداخل حينا آخر.
- عامل يعود إلى المنظومة اللسانية نفسها، فتأنيث ما يذكر لهجة، و تذكير ما يؤنث لهجة، ورفع ما ينصب لهجة...، وبالجملة فإن الباحث يعتقد أن أي خروج عن قواعد النحو في كلام العرب لهجة.

فتحديد معنى اللهجة عند عبد الجليل مرتاض ارتبط بعوامل نشأتها و المتمثلة أساسا في: العامل الاجتماعي، العامل الجغرافي، العمل اللساني.

---

[1]- اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص:16

[2]- المصدر نفسه، ص:16 .

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص: 16، 17.

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى علاقة اللغة باللهجة مؤكداً أنّ« إدراك البعد اللهجي أيسر و أقرب من إدراك البعد اللغوي، و لا يمكن لهذا الأخير أن يدلّ على الأول، بينما البعد اللهجي يمكن أن يلقي الضوء على ماهية اللغة بالنظر إلى افتنان الناس بهذه الأخيرة و اهتمامهم بها أكثر من اللهجة ، و يجب أن نعترف بأنه من بين المصطلحات اللسانية التي لم يعرف العرب أي اهتمام واضح لتعريفها، "مصطلح اللهجة" على عكس اللغة، و ذلك على الرغم أنهم تناولوا ميدانيا اللسانيات الجغرافيا اللغوية و الأدبية بطريقتهم الخاصة و على شكل واسع»[1]؛ وبالفعل فإن العرب القدامى لم يعرّفوا اللهجة تعريفا اصطلاحيا واضح المعالم، وذلك يرجع إلى أنهم عبّروا بمصطلح اللغة عن اللهجة– كما ذكرنا في الفصل الأول– و يظهر ذلك واضحاً وجلياً في كتب اللغة أمثال: الخصائص، الصاحبي...وهذا ما أكّده أستاذنا حين قال:« إنهم كانوا يدركون بحق الفرق بين اللغة و اللهجة، و لكن الإشكال الذي لا يدع لنا مجالا للشك أن الدارسين العرب قد أجمعوا على التعبير باللغة عن اللهجة، و من خلال سياق كلامهم علينا أن نفهم متى يطلقون اللغة و يريدون بها اللهجة، أو متى يطلقون اللغة و يريدون بها اللغة نفسها»[2].

بعد هذا الطرح الذي يميّز بين اللغة واللهجة يتطرق إلى وضع تعريف للهجة بقوله:« وأصبحت اللهجة تعرف اليوم وفق مستويات معينة و متنوعة من التكلمات...، و لكن التعريف العام الذي قد يشمل كل هذه المستويات ولو بشكل متقاطع، هو أن اللهجة تكلم جهوي متغيّر، تختلف مميزاته الصوتية و الفونولوجية، وكذا خصوصياته اللكسيكية، ونادرا المورفوسانتكسية عن اللغة المهيمنة، وهذا التغيّر عموما ليس مختلفا إلى درجة انعدام التفاهم بين متكلمين لا يتكلمون إلا هذه اللهجة الجهوية، وبين آخرين لا يتكلمون إلا اللغة الوطنية(أو لهجة أخرى من نفس اللغة)»[3]. و منه فإن اللهجة عنده هي تكلمات أي تعتمد بداية على الشفاهة ولها صفات

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص: 17.

[2]– المصدر نفسه ، ص: 19.

[3]– المصدر نفسه، ص: 18–19.

صوتية تميّزها عن اللغة الأصلية، وهذا ما ذهب إليه أغلب الباحثين الذين سبقوه، فكادوا أن يجمعوا على أن الجانب الصوتي هو الذي يميّز اللهجة بالدرجة الأولى.

2/اللسانيات الجغرافيا وعلم اللهجات:

يبرز عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر، دور العرب من اللسانيات الجغرافيا و علم اللهجات و مدى إدراكهم لهذا العلم في توثيق اللغة العربية فهو يصرّ على أن« أول علم منهجي ولساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافيا أولا، وعلم اللهجات ثانيا، ذلك أن ما لفت انتباههم من تكلمات محلية على مستوى جبال وأودية وقرى وأرياف شبه الجزيرة العربية بكاملها، منذ العصر الجاهلي، و مع مطلع العصر الإسلامي، هو الذي تولّد عنه علم اللهجات »[1]، بمعنى أن اللسانيات الجغرافية عند العرب سبقت ظهور علم اللهجات ذلك أن تحديد ميدان الدراسة جغرافيا و التعرف على بيئة كل قبيلة يكون أولا، ثم يتم التعرف بعد ذلك على طبيعة الواقع اللغوي أو اللهجة المستعملة.

وللإشارة فإن علم اللغة الجغرافي يظهر جليّا عند العرب أثناء تحديدهم للعربية الفصحى، فقد أشار عبد الجليل مرتاض إلى ذلك حين أورد بعض الروايات لأرباب اللغة الأوائل منها قول الخليل بن أحمد: "أفصح الناس أزد السراة" بينما كان أبو عمرو بن العلاء يقول:" أفصح الناس سافلة قريش و عالية تميم"، و يحكى عنه أيضا أنه قال:"أفصح الشعراء لسانا و أعذبهم أهل السروات، بينما كان يقول البعض الأخر:"و كنا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم و قيس و أزد السراة و بنو عذرة، وأكّد راوٍ آخر:" رأيت قوما من أزد السراة لم أرى أفصح منهم "[2].و عليه يمكن القول بلسان أحد الباحثين أن شروع اللغويين العرب في تحديد الحقل اللغوي للعربية الفصحى من حيث التنوّع الإقليمي الذي تمثلت به ووصفت بأنها لغة لقوم ما، حسب

[1] – اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص:39.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص:39، 40.

انتمائها الجغرافي ليهدف إلى عمل أطلس لغوي دون قصد منهم[1]، وليس هذا فحسب بل نجد كذلك علماء التفسير المتقدمين يعتمدون في تفسيرهم لبعض الكلمات الغامضة على العامل الجغرافي، و هذا ما وضّحه أستاذنا الفاضل حين أورد بعض الروايات التي تدلّ على ذلك نذكر منها: أن ابن عباس يفسّر "سامدون" في قوله تعالى:﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١﴾(سورة النجم الآية61)، بأنه الغناء بلغة أهل اليمن"، و أخرج عن الضّحاك في قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ (سورة القيامة الآية 15)

قال: "دستوره " بلغة أهل اليمن.[2]

وقد علّل عبد الجليل مرتاض سبب انغلاق جزء من الكلمات القرآنية على المتلقّين العرب و لاسيّما الرعيل الأول المطبوع على سجيته يعود إلى أن« اللغة العربية بجميع لهجاتها منها ما كان يدل على كلمات بدوية و منها ما كان يدّل على كلمات حضرية، و منها ما كان يدّل على دلالات انتقالية من البداوة إلى الحضارة ولماّ جاء القرآن الكريم راعى هذه الجوانب الثلاثة التى كان يتميّز بها المجتمع العربي.»[3]

-اللغة النموذجية:

لقد اجتهد عبد الجليل مرتاض في تحديد المساحة الجغرافية انطلاقا من نظرة أحد الباحثين الأجانب و هو المستشرق فولرز vollers الذي قال عنه أنه كان أكثر واقعية في تحديد الرقعة الجغرافيا لهذه اللهجة فقد حدّد اللهجة الفصحى « بمساحة محصورة بين خطين يمتد أحدهما

[1]- ينظر مجلة آداب ذي قار، العدد3،مج1، أيار 2011، الأطلس اللغوي و البحث اللساني عند العرب خالد نعيم الشناوي، جامعة البصرة، كلية الآداب، ص: 01.

[2]- ينظر اللسانيات الجغرافية في التراث العربي، ص:41. نقلا عن معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، 199/1.

[3]- المصد نفسه ص 41 ،42

من مسافة عدّة كيلومترات جنوبي مكة إلى خليج البحرين على الخليج الفارسي ويمتد شمالا من ضواحي يثرب حتى شمال الحيرة.»[1]

والجميل في هذا الطرح أن أستاذنا لم يكتف بذكر ما جاء به فولرز بل وضّح ذلك في خريطة لغوية حسب نظرية فولرز ثمّ علّق عليها قائلاً:« وواضح من هذه الخريطة اللغوية التي حدّدها فولرز بين هذين الخطين الذين ينطلق أحدهما من بني شيبان شرقا لينحرف شيئا فشيئا نحو الجنوب الغربي ثم ينعرج جهة عبد القيس شرقا أنها تشمل قبائل عظيمة بما في ذلك القبائل التي أجمع العلماء على الأخذ منها»[2]؛ ليستنتج في الأخير أنه من المستبعد جدا أن تكون هذه اللهجة متمركزة في جهة دون جهات أخرى وإن كان تمنطقها متفاوتاً خاصة عند مقارنة لهجة شمالية بأخرى جنوبية بحيث أن اللغويين حين جمعوا اللغة راعوا القبائل تبعاً لمواقعها الجغرافيا وركّزوا على وسط أو قلب شبه الجزيرة[3].

مواقع الرواة:

حاول عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر أن يزيل اللّبس بين ما هو رسمي و غير رسمي من اللهجات، و كذا إدراك البعد الثقافي بين ما هو شعبي و غير شعبي و بالجملة معرفة الفرق بين ما هو فصيح وغير فصيح، هذا وقد عقب الباحث على منهج الرواة في تدوين اللغة حين ذكر أن علماء اللغة على اختلاف لهجاتهم اتبعوا منهجا متقاربا على أساس نظرية وحدة اللغة العربية، كما لمح إلى عدم وضوح خطة مسارهم[4].

فعلماء اللغة القدمى لم يرسموا خطة واضحة المعالم، فلم يذكروا «من أين انطلقوا؟ و من أين مروا؟ و إلى أين انتهوا؟ وأي القبائل التي نزلوا بها إلا نادرا؟ وما هي الظواهر اللسانية التي تتميز بها هذه القبيلة من الأخرى؟...ما ذكروه من إشارات لا يفي بالقدر اللاّزم لرسم

[1]- اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص 43.

[2]- المصدر نفسه، ص45.

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص45

[4]- المصدر نفسه، ص: 45.

حدود لهجية بين القبائل دون تعميم رقعة واسعة »[1]؛ و كأنه يرى أن المناطق الجغرافية للرواة لم تكن موضحة في خرائط جغرافيا بمنهج واضح المعالم ، كما هو الحال في الدراسات الحديثة، و إنما جاءت مبثوثة في مختلف المصادر اللغوية القديمة.

ولعلّ أبا عمرو بن العلاء من الرواة الذين اعتمدوا المواقع الجغرافيا مدونة مفضّلة لديهم على حد تعبير عبد الجليل مرتاض، فقد اختار الباحث أبا عمرو بن العلاء شخصية نموذجية من أجل تقريب المواقع على أطالس لغوية لأشهر الرواة، حيث وضّح المواقع الجغرافية لهذه الشخصية بشيء من التفصيل، وجعلها في خريطة لغوية وهذه لا شك نقلة نوعية طبعت الكتاب وهي الانتقال من التنظير إلى التطبيق.

وقد كان عمله في ذلك كالآتي:

_ تحديد المواقع الجغرافية لأبي عمرو بن العلاء مع الإشارة إلى المناطق التي ذكرها بنفسه أو نعتها غيره فقد ذكر عدة روايات مبثوثة في مصادر شتى تدلّ على هذه المناطق، نقتصر على ذكر بعضها، منها ما جاء في كتاب الصاحبي:« قال أبو عمرو: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم.»[2]، والقبائل الخمس المسمّاة بعليا هوازن هي[3]:

_ سعد بن بكر_ جشم بن بكر _ نصر بن معاوية_ ثقيف_ هوازن.

فورد في المزهر قول أبي عمرو بن العلاء:« أفصح الشعراء لساناً، وأعذبهم أهل السروات وهنّ ثلاث، وهي الجبال المطلة على تهامة ممّا يلي اليمن فأولها هذيل، وهي تلي الرمل من تهامة، ثم علية السراة الوسطى وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الأزد، أزد شنوءة وهم بنو الحرث بن كعب بن الحرث ابن نصر بن الأزد.»[4]

---

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص: 46.

[2]– الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص: 28.

[3]– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص:50.

[4]– المزهر للسيوطي، 2/ 483.

قال أبو عمرو أيضاً: «أفصح الناس عليا تميم، وسفلى قيس»[1].

بعد هذا العرض المفصّل لأهم المناطق الجغرافية التي ذكرها أبو عمرو بن العلاء، ينتقل عبد الجليل مرتاض إلى التنويه أنّ الأطلس اللغوي الذي اقترحه وفق المواقع الجغرافية التي كان أبو عمرو يلجأ إليها يحتوي على قبائل شتّى وهي[2]: طيْ، أسد، تميم، هوازن، هذيل، ثقيف، خزاعة، قريش، بجيلة، كنانة، الأزد، فهذه القبائل تتموقع على سطح المناطق الخمس المشهورة: الحجاز، تهامة، العروض، نجد، وأخيراً اليمن.

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى أنساب القبائل، فقد ذكر أنّ هذه القبائل تتوزّع على أربعة أنساب هي[3]: ثلاثة أنساب عدنانية أو شمالية، ونسب قحطاني أوجنوبي، وهو يتوزّع على أربعة أنساب، فقبائل هوازن وغطفان وبني سليم وبني عقيل وثقيف وبجيلة وجشم ترجع إلى مضر، وبنو عبد القيس، وبنو تغلب، وبنو بكر، وبنو أسد تعود إلى ربيعة، وأما قريش، وبنو هذيل، وبنو تميم، وخزاعة فتتّصل بخندق، في حين قبائل هجينة، وكلب، وبهراء...، تعود إلى حمير، وأما القبائل التي تنحدر من كهلان القحطاني أيضاً، فهي الأزد بأقسامها الثلاثة:(أزد شنوءة، أزد السراة، أزد عمان)، كندة، لخم، قبيلة أشعر و قبيلة عامرة.

كما تطرق أيضا إلى مواطن هذه القبائل و مضاربها، فكل هذه التحقيقات من أجل إعطاء صورة تقريبية في تشخيص الخريطة اللغوية لأبي عمر بن العلاء وفي الوقت نفسه بعض اللغويين الآخرين على حد تعبير عبد الجليل مرتاض.

وهذا إنْ دلّ إنما يدلّ على سعة اطّلاع الباحث، ودقة تتبّعه لأهم المواقع الجغرافية التي تطرّق لها أبو عمرو بن العلاء في المصادر اللغوية، و محاولة تجسيدها في خريطة لغوية أو ما يسمى فى الدرس اللغوي الحديث بالأطلس اللغوي.

---

[1]- المزهر للسيوطي ، 2/ 483.

[2]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص51.

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص: 51، 52.

3/ معالم اللسانيات الجغرافية في التراث العربي:

أول ما تناوله عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر هو احتواء مؤلفات عربية قديمة على ظواهر ديالكتولوجية، حيث يرى أنه لا يكاد يوجد كتاب قديم إلاّ و يحتوي على مظاهر من الآثار اللسانية الجغرافية، فهذه الظواهر الجغرافية اللسانية لا تكاد تقتصر على كتب اللغة فحسب، و إنما وجدت في كتب النقد والأدب و حتى كتب التفسير.

ومن بين هاته الكتب القديمة التي ذكرها الباحث " طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي "، فقد علّق عبد الجليل مرتاض على هذا الكتاب موضّحا المظاهر الجغرافيا بقوله:« نراه يوزع الشعر العربي على مسوى القبائل انطلاقا من منطقة ربيعة و مرورا بمنطقة قيس و انتهاء إلى تميم،و هذا التقسيم لا يمت بصلة إلى أنساب الشعراء بقدر ما يرتبط بالمنطقة الجغرافية...، إنه وزع جانبا من هذه المدونة الشعرية، ولاسيما ما يتعلق بالجاهليين و المخضرمين، توزيعا جغرافيا واضحا(طبقة الجاهليين، شعراء القرى، شعراء مكة، شعراء الطائف، شعراء البحرين...) و ذلك علاوة عن المسائل اللسانية الدقيقة التي تطرق إليها طوال شروحاته ودراساته.[1] » بمعنى أن صاحب الكتاب انصبّ اهتمامه بالمواقع الجغرافية للشعراء أكثر من عنايته بأنسابهم.

بالإضافة إلى كتب نقدية أدبية أخرى ذكرها في معرض حديثه منها[2]: الموشح للمرزباني ، مجالس ثعلب، و كتب اللغة الأصيلة مثل كتاب سيبويه الذي يعد أولها، الإبدال لابن السكيت، كتب التراجم و الطبقات مثل: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ونور القبس للمرزباني، بالإضافة إلى المعاجم المتقدّمة و المتأخّرة منها، فضلاً عن كتب الدراسات القرآنية القيمة مثل غريب القرآن و تفسيره لابن اليزيدي، فأغلب هذه الكتب القديمة احتوت على بعض المظاهر الديالكتولوجية عرضاً في كثير من المناسبات.

---

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص:77، 78.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص78.

بعد هذه الدراسة المتعلقة بالمواقع الجغرافية لبعض اللغويين الكبار، ينتقل عبد الجليل مرتاض إلى عنصر آخر في المجال نفسه، وهو إحصاء أهم الكتب التي أُلّفت في اللغات، وهذا بعد أن عرض شيئاً مهماً، ونظرة يكاد يجمع عليها أغلب الباحثين، وهي عدم العثور على أي كتاب قديم معلوم أو مجهول يحمل عنوان " اللهجة" أو" اللهجات"، وهذا يرجع كما يرى الباحث إلى « ارتياح الدارسين العرب القدماء لما أطلقوه على "اللهجة" مصطلح "اللغة" و"اللغات" مع أنه لا يوجد لأمة أو شعب عادة إلا لغة واحدة، وويل لأمة أو شعب تعددت لغاته، فإنه وصلنا غير قليل من العناوين التي تحمل كتاب اللغات، والدارسون العرب القدماء لم يكونوا يعتقدون قط بالتعددية اللغوية على مستوى لغة واحدة متجانسة، بل كانوا يرمون بهذا المصطلح إلى أن في لغتهم عدة مستويات متباينة، بين كل جماعة لغوية وأخرى من خلال استعمالاتها الرسمية والشعبية على حد سواء.»[1]، يفهم من النص أن القدماء عبّروا بمصطلح اللغة عن اللهجة ولم يقصدوا بذلك تعدد اللغات، وإنما قصدوا وجود مستويات متعددة ومتباينة بين مختلف الجماعات في اللغة الواحدة.

ومن بين كتب اللغات التي استقاها الباحث من الفهرست لابن النديم نذكر بعضاً منها[2]:

_ كتاب اللغات ليونس بن حبيب (ت183هـ).

_ كتاب اللغات لأبي عبيدة (ت210هـ).

_ كتاب اللغات لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ)

_ كتاب اللغات للأصمعي (ت213هـ).

بالإضافة إلى مصنفات سميّت ب " كتاب لغات القرآن" أوردها الباحث في كتاب الفهرست نذكر منها:

_ كتاب لغات القرآن للأصمعي.

---

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص:79.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص:80.

_ كتاب لغات القرآن للفراء.

_ كتاب لغات القرآن لأبي زيد.

_ كتاب لغات القرآن لابن دريد.

وللتنبيه فإنّ هذه المؤلفات اللغوية لم يصل منها شيء حتّى الآن على حد تعبير عبد الجليل مرتاض، ولكن يرى في الوقت ذاته أنه بالإمكان أخذ فكرة من خلال مطالعة بعض الأعمال اللغوية القديمة ولاسيّما المعاجم اللغوية مثل جمهرة اللغة لابن دريد الذي يعطي فكرة واضحة عن مضمون ومنهج كتب اللغات، حيث أورد جملة من التراكيب والعبارات والنصوص تحت عنوان " باب من اللغات عن أبي زيد"، وقد اجتهد عبد الجليل مرتاض في نقل بعض التراكيب المتنوعة حتّى يأخذ المتلقي فكرة عن فحوى هذا المصطلح منها[1]:

_ اللّحانة واللّحانية من اللحن.

_ اللعانة واللعانية من اللعن

_ عرفت ذاك في معناه ومعناته

_ انتقع لونه، وامتقع ، واهتقع.

_ قال أبو زيد: العرب تؤنث السراويل وهي اللغة العالية، فمن ذكّر فعلى معنى الثوب، ويؤنثون العقاب، فمن ذكّر فعلى معنى الطائر.

وبالفعل فإن معجم جمهرة اللغة لابن دريد يحتوي على مظاهر لهجية متنوعة وكثيرة، وهذا ما ذكره الباحث حين قال:« أن معجم جمهرة اللغة لابن دريد أرجع فيه صاحبه إلى حوالي تسع وعشرين لهجة ولغة تعود إلى قبائل عربية موزّعة توزيعاً جغرافياً يمسح جل مناطق شبه الجزيرة العربية، وست منها ترجع إلى لغات غير عربية.»[2]، وعليه فالمعجم يعدّ من أغنى المصادر اللغوية بالمظاهر اللهجية .

[1]– ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص:81.

[2]– المصدر نفسه، ص:63.

أمّا مؤلفات " كتاب لغات القرآن"، فقد وصل منه رسالة لأبي عبيد القاسم ابن سلاّم(214 هـ) بعنوان: « ما ورد في لغات القرآن الكريم من لغات القبائل»[1].

قراءة تطبيقية في ضوء اللسانيات الجغرافية:

لقد عالج الباحث في هذا الجانب دراسة الظواهر اللسانية جغرافياً في كتاب النوادر الذي يتميّز بالجمع بين اللغة والأدب، فقد حاول الباحث أن يقف على الظواهر الديالكتولوجية في مستويين هما:

المستوى الصوتي، المستوى السانتكسي.

فالمستوى الصوتي ركّز فيه على إحصاء أهم الشواهد الشعرية التي ذكرها صاحب الكتاب ودراسة أهم التبدّلات الصوتية التي تحدث لبعض الأصوات، ويدخل هذا التّغيّر ضمن ما يعرف بالإبدال السماعي.

وللتذكير فإنّ الإبدال السماعي يكون نتيجة تعاقب حرفين في مكان واحد لتجانسهما مع بقاء المعنى مثل: النون واللام في " هتنت السماء" و" هتلت" أو بدون تجانس مثل: الفاء والكاف في حسيفة وحسيكة.[2] ، حيث توجد عدة مصطلحات لهذا الضرب من الإبدال وهي: الإبدال اللغوي، الإبدال الشاذ، الإبدال النادر، الإبدال غير القياسي، والإبدال المطرد السماعي[3].

وجدير بالذكر أنّ علماء اللغة الأقدمين أكّدوا على هذا النّوع من الإبدال وأوردوا أمثلة كثيرة على ذلك في مؤلفاتهم، كما ذكر ابن فارس في قوله:« و من سنن العرب إبدال الحروف و إقامة بعضها مقام بعض، و يقولون "مدحه" و "مدهه"، " فرس رفلّ و رفن"، و هو كثير مشهور

---

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص: 80.

[2]– ينظر السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة، عبد الرحمان الحاج صالح، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، موفم للنشر، 2007م ، ص: 233.

[3]– ينظر الخليل معجم مصطلحات النحو العربي، محمد مهدي علام وآخرون، لبنان، ط1، 1410هـ – 1990م، ص: 28.

ألف فيه العلماء.[1]»، و قد أرجع بعض قدماء العربية كثيراً من صور الإبدال إلى اختلاف اللهجات، و هذا ما ورد عند السيوطي حين قال:« و إنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في حرف لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد. »[2]، و لعل صاحب النص يقصد بلغات مختلفة؛ لهجات مختلفة ، و هذا ما ذهب إليه عبد الجليل مرتاض حين أكّد أنّ تفسير هذه الظاهرة يعود إلى أنها ظاهرة لسانية جغرافيا، وللتوضيح أكثر نذكر بعض الشواهد التي ناقشها الباحث منها [3]:

جاء فيه أن المرار الفقعسي قال:

و أما لهنّك من تذكّر أهلها لعلى شفا يأس وإنْ لم تَيْأَس

و قال غيره: لهنّ الذي كلّفتني ليسير

و قال آخر: لهنّك في الدنيا لباقية العُمر

يتضح من الأبيات السابقة أن صوت الهمزة أُبدل هاء، حيث يذكر عبد الجليل مرتاض بلسان علماء اللغة أن « هذا الإبدال الصوتي ما كان ليحدث لولا قرب مخرج الهاء من الهمزة، مثلما قالوا أرقت و هرقت، و أنرت الثوب و هنرته، و أرحت الدابة و هرحتها، و يذهبون إلى أن البدل لا يقاس عليه»[4]؛ بمعنى أن هذا النوع من البدل يدخل ضمن الإبدال السماعي و ليس القياسي.

ينتقل بعد هذا إلى شيء مهمّ وهو أنّ البدل يتعلّق أصلا بظاهرة لسانية جغرافياً أكثر ممّا يتّصل بقياس مطّرد أو شاذ، ويشير إلى أهم القبائل التي حدث فيها هذا التّغيّر الصوتي اللّهجي

---

[1]- الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ -1993م. ص: 209.

2- المزهر في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، 460/1

[3]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص:87.

[4]- المصدر نفسه، ص: 87.

منها أنّ قبيلة تميم وأسد وقيس ومن حاذاهم يجعلون ألف "أن" إذا كانت مفتوحة عيناً[1]، وتسمّى هذه الظاهرة بالعنعنة، وللإفادة فإنّ العنعنة « من العادات الكلامية العربية التي رويت عن تميم ووسعها بعضهم ليدخل مع تميم، قيس وأسد، ويراد بها قلب همزة(أن) _ سواءً خفّفت أو شدّدت_ عيناً، فنقول بدل (أنّ): (عنّ) ولذلك سمّيت العنعنة اشتقاقا من (عن)، ورويت روايات أخرى توسّع من رقعة هذه اللغة بحيث تقلب الهمزة عيناً في مواضع أخرى غير " أن" كقولهم مُؤتلي: مُعتلي، وذؤاف: ذعاف، لكن هذه الأمثلة لم تطّرد كاطّراد القلب في (أن)»[2]، وعليه فإبدال الهمزة عينا مطّرد في لفظ "أن" أما بقية الأمثلة فتعتبر حالات شاذة لا يقاس عليها، وتنسب هذه اللهجة في الغالب الأعم إلى تميم وهذا ما أكّده عبد الجليل مرتاض في قوله:« ومعلوم أن قول العربية: هذه عنّتنا، تفيد بأنها كانت تميمية أو ربيت في ديارهم لأنّ هذه العنعنة منسوبة في أكثر من مصدر إلى بني تميم الذين كانوا يقنطون في شرق شبه الجزيرة، ومن هذا قول ابن دريد:" العنعنة حكاية كلام نحو قولهم: عنعنة تميم، لأنهم يجعلون الهمزة عيناً".»[3]؛ وهذا دليل على دقة استقصاء الباحث في نسبة هذه اللهجة.

هذا بالنسبة للمستوى الصوتي، والأمثلة كثيرة التي ذكرها الباحث في هذا المستوى حيث فصّل فيها بالشرح و التحليل.

المستوى السانتكسي:

يعالج الباحث في هذا العنصر المستوى النحوي في كتاب النوادر لأبي زيد حيث يقول في هذا الشأن:« أما على المستوى السانتاكسي، فإن كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري فيزخر و يزدحم إلى درجة التّخم بمستويات لهجيه تغطي أجزاء كبيرة من مناطق شبه الجزيرة العربية، ونحن هنا لا نقصد بهذه المستويات إلا ما ورد في تراكيب شعرية لمختلف الشعراء العرب الجاهليين و المخضرمين و أحيانا الإسلاميين، و ذلك حتى نلتزم بجنس واحد من المدونة

[1]– ينظر اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ، ص: 87، 88.

[2]– المعجم المفصّل في فقه اللغة، مشتاق عبّاس، ص: 120.

[3]– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص: 88.

باعتبار النسق النبوي المتماثل بين المتكلمين»[1] و هذا ما فعله عبد الجليل مرتاض، حيث ركّز على الشواهد الشعرية التي احتوت على مستويات نحوية لهجية، فالنص يوحي بأن كتاب النوادر من أغزر المصادر اللغوية والأدبية عامة بالمستويات اللهجية، سنحاول أن نذكر بعضا منها على سبيل التمثيل والتوضيح لا الحصر :

– يقول أبو زيد بعد أن يورد بيتين لبعض أهل اليمن :

أيّ قلوص راكب ثراها طاروا عليهنّ فشُل علاها

واشدد بمثْنَتي حقب حقواها ناجية و ناحيا أباه

القلوص مؤنثة، و علاها أراد :عليها، و لغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ما قبلها ألفا، يقولون: أخذت الدرهمان، و اشتريت ثوبان، و هذه الأبيات على لغتهم ، و أما أباها فيمكن أن أراد أبوها فجاء به على لغة من قال : هذا أباك.[2]

ويذكر عبد الجليل مرتاض في هذا السياق أن اللغويين العرب تناقلوا تركيبين مشهورين، أحدهما بيت شعر، وهو:

إن أباها و أبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها.

حيث اختلفوا في نسبته واسمه اختلافا كثيرا، و ثانيهما قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ﴾ (سورة طه الآية:63) ، فقد علق عبد الجليل مرتاض على هذه القراءة بالرجوع إلى كتاب الحجة لابن خالويه حيث يقول أن من قرأ " هذان " بالألف مع تشديد النون في" أن " فقد قرأها على لغة بلحارث بن كعب باعتبارهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه، ناسبا البيت

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص: 97.

[2]– ينظر المصدر نفسه ، ص: 102.

السابق إلى أحد شعرائهم "بلحارث "[1]

كما تطرق الباحث إلى عدة قضايا نحوية أخرى وردت في كتاب النوادر نذكر منها[2]:

إدخال الألف واللام على الفعل، مثلما جاء في قول الشاعر الخرق " الطهويّ":

يقول الخنا و أبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوتَ الحمار اليُجدَّع

فيستخرج اليربوعَ من نافقاته ومن جحره ذو الشيحة اليتقصّعُ

فذكر الشارح بعد هذا أنه لا يجوز إدخال الألف و اللام على الأفعال، و إذا ما أُريد بها الذي كان ذلك أفسد في العربية.

و قال الأخطل التغلبي أيضا : ما أنت بالحكم الترضى حكومته ... حيث أدخل الألف و اللام على الفعل المضارع "ترضى" مثلما فعل قبله الطهوي و الأول تميمي مضري، و الثاني تغلبي ربعي، و كلاهما يعود في النهاية إلى نزار.

و كتاب النوادر يزخر بالأمثلة الكثيرة في المستوى النحوي التي ذكرها الباحث في كتابه، سجّلنا بعضا منها من أجل الإفادة و التوضيح.

4- علم اللهجات الأدبي:

يرى الباحث في هذا العنصر، أن علم اللهجات الأدبي جنس علمي مستقل يجب أن يدرس دراسة أدبية مستقلة أيضا، ويعرّفه بقوله:« علم اللهجات الأدبي هي الدراسة العلمية للتكلمات الأدبية التي لا يمكن للمتكلم أن يغيّرها أو يحورها و إلاّ فسد المعنى، أو ضؤلت الدلالة و بردت »[3]، و عليه فهذا العلم يهتم بدراسة الخطاب الشفوي بين عامة الناس نثراً كان أو شعراً، ولاسيما تلك المصطلحات التي حدث لها تبدّل أو تغيّر، سواءً كان صوتي أو دلالي، وأصبحت

[1]- ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص 103، والموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة و التركيب، عبد الجليل مرتاض، دار العرب للنشر والتوزيع، 2002م ، ص: 116، 117، 118.

[2]- ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي ، ص: 107

[3]- المصدر نفسه، ص: 113.

بالتالي كلمات معتادة بين المتكلمين غير قابلة للتغيير.

ومن أجل معالجة هذا الفرع من علم اللهجات تطرق الباحث إلى ذكر عدة عناصر فرعية تدخل ضمن هذا العلم، وحاول أن يوضّح كل عنصر على حده، سنحاول أن نقف على بعض منها من أجل الكشف و التعرّف على هذا العلم أكثر .

-علم اللهجات الأدبي متعدد المستويات:

يشير عبد الجليل مرتاض أن علم اللهجات الأدبي الذي نتصوره لا يحفل بمستوى دون مستوى ، إنما يشتمل على عدة مستويات لغوية حيث يذكر « أن هناك التطورات الدلالية إذ كثيراً ما نحسب أن كلمات عامية أو أجنبية، وهي عربية صليبية، وثمت تراكيب نتداولها في خطابنا الشفوي وقد لا نجرؤ على توظيفها في إنتاجاتنا الكتابية، على سبيل المثال: خلف الله عليك إذا رزئ بما عوض له فيه، فقالوا: خلف الله عليك أي كان الله عليك خليفة، و ليس قولنا: «الله يخلف عليك» في عاميتنا إلاّ من هذا، ثمت تطورات دلالية لا يمكن لعلم الدلالة الوصفي أو حتى التاريخي أن ينهض بها وحده إن لم يستعن بعلم اللهجات الأدبي »[1]، بمعنى أن الكثير من المصطلحات العامية المتداولة بين الناس ذات أصول عربية فصيحة، و هذه حقيقة تثبتها مؤلفات[2] عدة في هذا المجال.

أما المستوى الصوتي فيعبر عنه قائلا:« وحتى في المجال الصوتي لا بد أن يستعين الدارس بهذا الحقل، فتقارب المخارج الصوتية أو تباينها تظل المعرفة الوصفية بكليهما غير كافية إذا كنا لا نحيل على وحدات صوتية وظّفها المتكلمون كما هو الحال في القوافي بين السين والصاد (أي الجمع بينهما):

وصاحب يمتعص امتعاصاً كأن في حال أسته أحلاساً

[1]– اللسانيات الجغرافيا في التاث اللغوي العربي، ص: 117.

[2]– من بين هذه المؤلفات نذكر : معجم فصّاح العامية، هشام النحاس، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، عبد الملك مرتاض.

أو كقول امرأة لابنها:

بُنيَّ إن البر شيء هَيّنُ المنطق اللَّيّن والطُّعيمُ

حيث جمعت بين النون والميم في القافية لتقارب مخرجيهما. »[1]

أما بالنسبة للمستوى المورفولوجي(الصرفي)، فمثّل لذلك ببيت شعري لطرفة:

ثمّ زادوا إنهم في قومهمْ غفُرٌ ذَنبَهُمُ غيرُ فُخُرْ

فغفر وفخر جمع غفور وفخور، وهذا المصدر نفسه يكشف لنا أن الكلابيين كانوا يجمعون صيغة غيور على غُيُر أي فعول على فُعُل[2].

هذه بعض الأمثلة التي ذكرها الباحث والتي استقاها من كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري ليبيّن مدى احتواء علم اللهجات الأدبي على مستويات عدة.

_ مخاطبة الناس بما يفهمون:

يرى الباحث في هذا المقام أن التواصل بين الناس لابد له من معرفة أحد الطرفين لهجة الآخر على الأقل، حيث استدلّ في ذلك بالرسول عليه الصلاة والسلام الذي يعدّ القدوة الحسنة في التعامل مع الناس، إذ « لم يكن يتردد أحياناً في مخاطبة الوفود الواردة عليه ممن لا يعرفون الخصائص اللهجية القرشية كلها بكلامهم المعتاد كقوله عليه السلام :" ليس من امبر امصيام في امسفر".»[3]؛ وتسمّى هذه اللهجة بالطمطمانية وهي لغة في حِمْيَرْ كقولهم طاب امهواء- يريدون" طاب الهواء" ومنهم من يضيف أنها لغة في حمير ونفر من طيء[4].

---

[1]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص: 117.

[2]- ينظر اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ، ص: 118.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 119.

[4]- ينظر لهجات العرب، أحمد تيمور باشا، قدّم له: إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1393هـ- 1973م، ص: 103، 106.

يضيف عبد الجليل مرتاض شاهداً آخر في هذا الشأن يتعلّق بالقراءات، وهي[1]: قراءاة أبي عمرو ونافع وابن كثير في قوله تعالى:﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ (سورة البقرة الآية 259)، بالراء وقراءة الباقين من السبعة ،" ننشزها" بالزاي.

_ سوء التفاهم بين الباث والمتلقي:

يقصد عبد الجليل مرتاض بهذا العنصر ما يتعلّق بالخطاب الذي يتمّ بين باث ومتقبّل في أحد المستويات المتباين فيها دلالياً كدلالة السدفة في لهجة تميم على الظلمة كقول العجّاج:

وأقطع الليل إذا ما أسدفا.

وفي لهجة قيس على الضوء كقول ابن مقبل:

وليلة قد جعلتُ الصبح موعدَها بصُدْرة العَنْس حتى تَعْرف السَّدَفا

فهذا المستوى أو غيره قد يؤدي إلى سوء فهم تواصلي بين كل من المرسل والمرسل إليه وهذا ليس من باب اللحن وإنما من باب سوء التفاهم الناتج عن عدم معرفة أحد الطرفين لغة أو لهجة الآخر[2].

والأمثلة السابقة تدخل ضمن التضاد وهو مشهور في العربية.

ومن نحو ما سبق ما يرويه الأصمعي من أنّ رجلاً من العرب دخل على ملك ظفار، فقال له ملكها: ثبْ؛ أي اجلس، غير أن الرجل قد وثب وثبة اندقّت لها رجلاه[3].

_ شعور الدارسين بتباين الخطابات الشفوية:

يذكر عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر أنّ:« بوادر علم اللهجات الأدبي يمكن أن نرصدها في عدة وثائق تمثّل خطابات شعبية وعامة، وفي نصوص وحوارات جرت بين العامة والخاصة أو حتّى بين الخاصة والخاصة، ومن خلال أوصاف ثقافية وتزكيات علمية متناقضة

[1]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، ص:120.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص: 123.

[3]- ينظر المصدر نفسه، 124.

متضاربة حيناً لدواعي علمية صادقة أو لعوامل مذهبية وغيرها حيناً آخر، وهذه الأوصاف المتقدمة نسبياً لا تنسينا تلك الجهود المضنية التي اضطلع بها دارسون عرب قدماء، والتي تدلّنا دلالة قاطعة بأنّ هؤلاء الدارسين كان لهم اهتمام شاق بهذا الموضوع.»[1]؛ يؤكّد الباحث في هذا النص أنّ الدارسين العرب القدماء كان لهم الفضل في ظهور علم اللهجات الأدبي من خلال تلك الحوارات والمناظرات التي جرت بين عامة النّاس وخاصّتهم ولكن في الوقت ذاته يعيب على الدارسين العرب القدماء أنّ هذا الشعور لم تقابله بلورة واضحة ولا حتّى إشارات توحي بأنهم فكّروا في الاشتغال بهذا الحقل – حقل علم اللهجات_ فضلاً عن أن يفكّروا في أمر آخر اسمه علم اللهجات الأدبي[2].

_ الفرق بين علم اللهجات الأدبي وعلم اللهجات اللغوي في نظر عبد الجليل مرتاض:

قام الباحث بتوضيح الفرق بين العلْمين، سنحاول أن نوجز نظرته فيما سيأتي ذكره[3]:

علم اللهجات الأدبي وصفي يصارع من أجل هوية النص وبراءته الأدبية، ويقاوم جاهداً من أجل إخضاع بنية القواعد إلى بنيته النصية أو على الأقل يحاول أن يكون بعيداً عن بنيتها المعيارية الصلبة، لتحرير المتكلم من عبوديتها، أمّا علم اللهجات اللغوي فيعني الوقوف على ما يدور من تكلمات ونصوص وتراكيب شفوية وكتابية في حقل علم اللهجات الأدبي ويجب أن يكون سنداً له ومبرّراً لوجوده لا خصماً مضاداً له، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني كلياً عن آخرهما، فالأول يمثّل المدونة بكل إشكالاتها الطبيعية، والثاني يستحضر لوصف أو تبرير هذه المدونة، غير أنهما متداخلان أشدّ التداخل والتشابك، غير أنّ هذا الأمر ليس بخطر إلى حد ما، لأن تكاملهما ونشوء كل شكل من أشكالهما في الآن ذاته يسيغان هذا التداخل والخلط بينهما، وقد يحتاج الأمر إلى جهد كبير ووقت طويل حتّى يتّضح كل منهما جنساً علمياً مستقلاً عن الآخر، ولن يكون هذا مستحيلاً على حد قول عبد الجليل مرتاض.

---

[1]– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ، ص: 141.

[2]– ينظر المصدر نفسه، 141.

[3]– ينظر المصدر نفسه، ص:131.

ولعلّ الفارق الأكثر بياناً بينهما أنّ علم اللهجات الأدبي لا يحفل بشرعية اللغة ودستورها المتعارف عليه بقدر ما يعبأ بعفوية المتكلم معبّراً بشكل ضمني أنّ اللغة بنية شعرية ذات صفة اعتباطية مطلقة، وعلم اللهجات اللغوي هو الأجدر بتفسيره وضبطه، فعلم اللهجات الأدبي يتكفّل بالمدونة كبنية شعرية كلية، وليس من شأنه أن يتصرّف في هذه المدونة، ودون أن يتدخّل في لعبة المتكلمين ولا أن يتطفّل للحد من إرادتهم التي أنجزت وانتهت[1].

وعليه فاستحداث علم لهجات أدبي مستقل بات أكثر من ضرورة ملحّة- كما أكّد الباحث- بغية تنوير الأجيال العربية بماضي تراثها الأدبي وكنوزها اللغوية؛ لأنّ هذه الأشكال اللسانية العربية القديمة نجد القدماء متنازعين فيها، فكل يريد أن ينسبها إلى جنس حقله، فكتب التراجم والطبقات النقدية والأدبية غنية بالتراكيب اللغوية، فضلاً عن كتب التراجم والطبقات اللغوية فهي لا تخلو من تخمة أساليب أدبية صرف.

إذن فعلم اللهجات الأدبي على حسب ما ذكر يركّز على دراسة المدونة الشعرية والنثرية والخطابات الشفوية المتمثلة في المناظرات والحوارات التي تزخر بها كتب التراث دون التركيز على دستور اللغة.

[1]- ينظر اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي، ص:114.

الفصل الثالث

دراسة في كتاب" مقاربات أولية في علم اللهجات"

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ومنهجية الباحث فيه

1_ التعريف بالكتاب:

يندرج الكتاب ضمن الدراسات اللهجية الحديثة، فقد تعرّض في كتابه إلى دراسة العديد من القضايا التي تتعلّق بعلم اللهجات واللسانيات الجغرافية، وحاول أن يوضّح الكثير من المفاهيم المتداخلة والمتقاربة في هذا المجال سواء بالتفريق بينها أو وضع كل مصطلح ضمن المفهوم الذي يصلح له، كما أكّد أيضاً على ضرورة ترسيم مادة الديالكتولوجية كمادة أساسية في الجامعات مشرقاً ومغرباً وتدرس في تخصصات الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية والشعبية، وهذا إن دلّ إنما يدل على الاهتمام الموفق من طرف الباحث لهذا الفرع اللساني.

وإذا كان عبد الجليل مرتاض في كتابه الأول قد عالج فيه دور العرب القدامى من علم اللهجات وبذوره الأولى في كتب التراث العربي، فإن كتابه هذا قد انصبّ اهتمامه فيه على الدرس اللهجي عند الغرب من خلال طرحه للكثير من الآراء لعلماء غربيين الذين لهم اهتمام في هذا الحقل اللساني.

2_ منهجية الباحث في كتابه:

عالج عبد الجليل مرتاض مضامين كتابه معتمداً على خطة مقسمة إلى خمسة فصول بعد مقدمة، جاءت على النحو الآتي:

يبدو أن المقدمة جاءت كتمهيد لمضامين الكتاب باعتبارها لم تركّز _ كما هو معتاد _ على ذكر بعض العناصر المنهجية مثل سرد خطة البحث وما إلى ذلك، ولكن الباحث ركّز فيها على معالجة بعض الحقائق المتعلقة بهذا العلم، حيث يرى قلة المراجع أو ندرتها في هذا الحقل المعرفي حتّى أن كتابه هذا تردّد في إخراجه إلى النور حيث يصف ذلك قائلاً:« ... وبعد لأي وتردد طويلين: أأُخرج هذا العمل في رحلته المبدئية لعل الله سيهيء له يوماً سبيلاً ليطبع ويطّلع عليه القارئ العربي، وهو غير مقوّم له وحاكم عليه، أم أئده في أحد الرفوف

انتظاراً لما قد يجود به الزمان علينا مستقبلاً من مراجع عربية وأجنبية مختصة... وكان الجواب الوحيد الذي أنقذني من هذا التساؤل المشروع ألا أدّعي للمتلقي العربي بأني أقدم له كل شيء عن الديالكتولوجية أو اللسانيات الجغرافية ما دام الأمر لا يعدو في شكله ومضمونه شيئاً أكثر من مقاربات أولية في علم اللهجات.»[1]، فلعل هذا التعبير يدل على تواضع الباحث، فسبب تسمية كتابه بـــ: مقاربات أولية في علم اللهجات" كان من هذا الجانب.

بعد ذلك ينتقل إلى ضرورة التفات الجامعات العربية إلى مادة علم اللهجات وترسيمها مادة أساسية، بحيث أنه لن يضر باللغة العربية ولن يكون عائقاً أمامها؛ على حد تعبير عبد الجليل مرتاض.

ويختم قوله بإعادة تأكيده على وجوب تضمين علم اللهجات للبرامج البيداغوجية الجامعية، قائلاً:« إن تعاملنا الطويل مع الفكر اللغوي العربي الأصيل واجتهادنا في الاطّلاع المستمر على ما جدّ في حقول اللسانيات العربية أكّد لنا ممّا لا يدع مجالاً للشك بأن ميلاد علم اللهجات يجب أن يطرق البرامج البيداغوجية في الجامعات مشرقها ومغربها...»[2].

أما فصول البحث فتضمّنت العناصر التالية:

تطرّق في الفصل الأول إلى علم اللهجات مادة ومصطلحاً، أما الفصل الثاني عالج فيه المستويات التمهيدية لظهور علم اللهجات، لينتقل إلى ميلاد علم اللهجات في الفصل الثالث، أما الفصل الرابع فتناول فيه مقاربات ديالكتولوجية في أشكال التواصل، وخصص الفصل الخامس لدراسة اللغات الجهوية واللغات المشتركة.

من خلال تصفّحنا للكتاب يظهر لنا منهجان بارزان في الكتاب: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات، عبد الجليل مرتاض، ص: 06، 07.

[2]– المصدر نفسه، ص: 08.

01_ المنهج الوصفي: يتجلّى هذا المنهج بصفة واضحة في الفصلين الأخيرين من الكتاب، ولاسيّما لمعالجة العناصر التالية: " اللغة فضاء مغلق، اللغة تتنوع باستمرار، اللغات الاجتماعية، ..."، ذلك أن اللغة « مؤسسة يجب تحديد إطارها، ولا يمكن القيام بدراسة تاريخية ولا بدراسة تصنيفية للغة ما دون وصف دقيق ومحدد، ولا تتحقق عمليات الوصف الجيّدة إلا إذا راعت اللسانيات الوصفية كل جوانب موضوعها واعتمدت في مقاربته على منهجية صارمة.»[1]؛ وبالفعل فإن عبد الجليل مرتاض اجتهد في وصف ومعاينة مختلف اللغات التي ذكرها في كتابه، كقوله مثلاً عن اللغة الموضوعاتية:« ويمكن كذلك لموضوع اللغة أن يكون مولداً أو محدثا للغة تيماتيكية هي اللسانيات أو المنهج الخاص... والوصف أعلاه لا يجعل مع ذلك هذه اللغة بمنأى عن وقوعها تحت تأثيرات مباشرة وغير مباشرة لظواهر متعددة...»[2]؛ فمضمون النص يدل على أن الباحث اتّبع المنهج الوصفي في سرد هذه الحقائق عن اللغة الموضوعاتية، هذا ولم يكتف بمجرد الوصف وإنما يقوم بتحليل بعض التراكيب، على سبيل المثال قوله:« ويصف الدارسون الفرنسيون المجموعة اللسانية تحت ثلاثة مصطلحات... ، سنحاول أن نوضّح قليلا هذه النقاط وما يتّصل بها من عناصر اتصال أخرى...»[3]

02_ المنهج التاريخي: يظهر هذا المنهج في الكتاب عندما تعرّض الباحث إلى تتبّع "ميلاد علم اللهجات"[4]، فمن أجل الوصول إلى هذه الغاية يحتّم على الباحث الرجوع إلى بعض الحقائق التاريخية السابقة، بهدف تأكيد تاريخ ظهور هذا العلم، وتبلوره في شكله المستقل.

بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي اعتمده الباحث من أجل توضيح بعض المصطلحات والمفاهيم المتداخلة والتي يحدث بينها التباس، من أمثلة ذلك:

---

[1]_ اللسانيات، جان بيرو، ترجمة: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، (دط)، 2001 ص: 30.

[2]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 141.

[3]– المصدر نفسه، ص: 114، 115.

[4]– ينظر المصدر نفسه، 75.

" اللهجات، علم اللهجات"[1] ، " علم اللهجات، اللسانيات الجغرافية"[2].

أما عن الخصائص التي ميّزت منهجه في هذا الكتاب، فسبق وإن أشرنا إلى بعضها في الفصل الثاني، ولاسيّما تلك السمات المشتركة التي ميّزت كتاباته، ولكن حسبنا أن نذكر بعض الأمثلة عن ذلك وردت في المصنف، منها:

_ تطبيق ظاهرة النحت على بعض التراكيب، التي كان له الفضل في ابتكارها منها: " الفقلغويّان"[3]؛ أي عالما فقه اللغة، " القروسطية"[4]؛ بمعنى القرون الوسطى.

_ استعمال الباحث لبعض المصطلحات الأجنبية دون ترجمة مثل: "Patois"[5] وأحيانا معرّبة نحو: "اللانقاج"[6]، والأمثلة كثيرة على هذا النحو، والعلة في استعمال الباحث لهذه المصطلحات الأجنبية عبّر عنها بقوله:« ... الأبعاد الديالكتولوجية أضحت أكثر وضوحاً لدى الدارسين الغربيين منها عندنا الدارسين العرب، حتى إنه لأصبح يحلو لنا أن نميل إلى توظيف بعض المصطلحات الأجنبية على علاتها نفوراً من اللبس، وهروباً من تحمل مسؤولية التعسف في حق هذه اللغة الشريفة.»[7]، فأرجع سبب ذلك إلى كون الترجمة أحياناً تحدث نوع من الالتباس للمعنى الحقيقي.

---

[1]- ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 13.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص: 14.

[3]- المصدر نفسه، ص: 51.

[4]- المصدر نفسه، ص: 46.

[5]- المصدر نفسه، ص: 110.

[6]- المصدر نفسه، ص: 104.

[7]- المصدر نفسه، ص: 111.

_ من الخصائص التي ميّزت أسلوبه أيضاً، استعماله نون المتكلم كقوله:" لغتنا فضاء مغلق، لغتنا تتنوع باستمرار، لغتنا أكثر من استعمالاتنا..."[1]، ولعل ذلك يعد نوعاً من الاعتزاز بهذه اللغة الغرّاء التي لا يمكن لأحد أن يستغني عنها وإلاّ فقد التواصل.

_ استخدام الأدلة والبراهين من أجل إثبات أو نفي ظاهرة لغوية معيّنة كقوله:« ولا أدلّ على ما نقول...»[2]، وأحياناً يستعمل أسلوب الاستفهام كقوله متسائلاً:«... أم ننكر أن اللغة العربية ذاتها قائمة على أخلاط وأمشاج من التواصلات القبلية على الرغم من العوامل الخارجية التي عملت عملها منذ ألفي سنة على الأقل من أجل تبني لغة مشتركة واحدة ؟»[3]، وهذا من أجل التنبيه وإعمال الفكر.

_ أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدها الكاتب في مصنفه، نلاحظ أنها جاءت في ثلاثة أنواع: أولاً المراجع باللغة الأجنبية، ثم تأتي المراجع المترجمة إلى العربية في الدرجة الثانية، أما المراجع العربية فشملت مرجعين، أحدهما من مؤلفاته " العربية بين الطبع والتطبيع"، وهذه صفة تميّز مصنفاته فنجد أن الباحث يعتمد كتبه كمراجع أساسية يعود إليها في كتاباته.

هذا عن منهج الباحث في كتابه، وسيتمّ الكشف عن خبايا الكتاب أكثر أثناء معالجة مضامينه في العنصر المقبل.

---

[1]- ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 91، 92، 93.

[2]- المصدر نفسه، ص: 66.

[3]- المصدر نفسه، ص: 67.

المبحث الثاني: دراسة القضايا اللسانية اللهجية في الكتاب

1/ مصطلح و مادة علم اللهجات :

أول ما تطرق له عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر هو توضيح ذلك الخلط الحادث بين كل من اللهجة وعلم اللهجات حيث يقول في ذلك :« ومن أكثر المواقف تعاسة في هذا الميدان تلك الرؤى التي لا تفرق بين اللهجات كظواهر من ظواهر الاتصال مثلها مثل اللغات تماما أو بوصفها تكلمات محلية خاصة بالتعارض مع اللغات كتكلمات وطنية عامة، وبين علم اللهجات كحقل منهجي له أدواته وإجراءاته تارة يترامى إلى أذنك علم اللهجات وقد يراد به اللهجات عينها ،ومرة تسمع هذه الأخيرة ويقصد بها الأول، ولربما قرأت خلطا أوقعك في لبس وشك من أمرك بين هذا وذاك.»[1]

أراد عبد الجليل مرتاض أن يبين أن كل مصطلح يذكر في محله، فاللهجات شيء ،وعلم اللهجات شي آخر حيث يرى أن هذا الالتياس بين المصطلحين يصدر عن العرب أكثر من الغربيين ويرجع سبب ذلك إلى أمرين هما:

1 أن التراث اللساني العربي القديم لم يتمكن من مواصلة نضجه حتى يفرق منهجياً بين اللهجة من جهة وعلم اللهجات من جهة ثانية.

2 أن الدرس اللغوي العربي المعاصر لا يبرح يفتقر إلى وجود مادة لسانية أسوة بما كان عند العرب القدماء ،وبما هو كائن لدى الغربيين المعاصرين .

على الرغم مماّ ذُكر إلا أن أستاذنا لا ينكر الصلة الوثقى التي تصل اللهجة بعلمها أي علم اللهجات، لأن مثل هذا الإنكار بلسان عبد الجليل مرتاض يصدق على إنكار صلة أية مادة أو مبحوث بعلمه وميدان بحثه، ومع ذلك ينبغي ألا تنهض هذه الصلة بين المادة وعلمها حجة لعدم الفصل منهجياً بينهما ،وهذا لا يعني في مفهوم الباحث أن علم اللهجات يمكن له أن يقوم بذاته مستغنياً عماّ سواه ، فهذا العلم من أشد العلوم الإنسانية احتياجاً لعوامل وعلوم أخرى

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 11.

إلى جانب احتياج الباحثين في هذا المجال إلى قدر من المعلومات الدقيقة من المادة المبحوث فيها[1].

بعد هذه النظرة الخاطفة التي تميز بين اللهجة و علمها، ينتقل الباحث إلى عنصر قريب من هذا وهو محاولة التفريق بين علم اللهجات واللسانيات الجغرافية، فنجده يقول:« ولكن على الرغم من التداخل الذي لا يبرح يسود الحقلين الخاصين بكل من اللسانيات الجغرافية والديالكتولوجية (علم اللهجات).فإن الباحثين المعاصرين أصبحوا اليوم يميزون شيئاً فشيئاً بين هذين الحقلين وأعني بهم أولئك الذين لا يدمجون المصطلحين معاً تحت مفهوم حقلي واحد ، ومن ثم فإن اللسانيات الجغرافية هي كل ما يعثر عليه في أي فضاء من تواصلات لسانية يمكن نقل وتسجيل وقائعها المتكونة من كل الأنظمة والأصناف عل خرائط تمثل مواقع جغرافية، بينما الديالكتولوجية (علم اللهجات) من جهتها تفهم»؛ فإذا ما تأملنا في النص نلاحظ أن هناك موقفين حول نظرة الباحثين إلى هذين المصطلحين هما :

1 فريق حاول التمييز بين الديالكتولوجيا واللسانيات الجغرافية.

2 فريق أدمج الصطلحين تحت مفهوم واحد.

فيظهر أن عبد الجليل مرتاض من أنصار الاتجاه الأول ، وبالفعل فإذا ما رجعنا إلى بعض المعاجم اللغوية الحديثة نجد أن كل مصطلح له مفهوم خاص، من بينها المعجم المفصل في فقه اللغة لمشتاق عباس، فقد ورد في هذا المعجم تعريف الديالكتولوجية واللسانيات الجغرافية ،على النحو الآتي:

الديالكتولوجية:«هي العلم الذي يُبحث فيه اللهجات وظواهرها وتسمياتها وما يلازمها من مصطلحات ومفهومات، ناهيك عن تحديد مناهجها المختلفة التي يستعين بها الدارس في تأليفه وبحوثه، وقد عرّب هذا المصطلح المشتق من لفظ وُضع للهجة التي تسمى عندهم بـ:

[1]_ ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 13.

(Dialect)، في حين ترجم بعض الدارسين هذا المصطلح بمصطلح عربي مفاده(علم اللهجات).»[1]

اللسانيات الجغرافيا «علم يتناول التوزيع الجغرافي في اللغات واللهجات وحدود الظواهر اللغوية _ صوتية أو نحوية أو دلالية _ ويهتم بوضع أطلس لغوي بين المناطق اللغوية والجزر اللغوية.»[2]

يتّضح من النصين السابقين أن اللسانيات الجغرافية علم شامل باعتباره يهدف إلى دراسة وتصنيف اللغات واللهجات حسب موقعها الجغرافي، أما الديالكتولوجية فتقتصر على دراسة اللهجات ومظاهرها وما يتعلق بها.

ولمعرفة المزيد عن هذين المفهومين قام الباحث بطرح مجموعة من الأراء لعلماء غربيين على رأسهم دي سوسير، سنوجز نظرية لهذه الأراء فيما يأتي بيانه :

– لا يتردد دي سوسير في تسمية هذا الحقل أي علم اللهجات، باللسانيات الجغرافيا – كما أشار عبد الجليل مرتاض– فقد عالج سوسير تحت هذا المصطلح في الجزء الرابع من كتابه العناصر التالية: تنوع اللغات، تعاصر لغات جديدة في موقع واحد أي بقدر ما يوجد من مناطق توجد لغات متميّزة، بواعث التنوع الجغرافي[3].

وعليه فسوسير تناول بعض العناصر التي تتعلق بعلم اللهجات ضمن اللسانيات الجغرافية.

– يورد عبد الجليل مرتاض رأي آخر لهذين المفهومين من المعجم الموسوعي في علوم اللغة لتودورف ودكرو ،حيث ورد فيه أن الكلام عن لغة كاللغة الفرنسية أو الألمانية مثلا، يعتبر كلام تجريدي، في الغالب الأعم غير واع ،لأنه في الحقيقة بقدر ما توجد من تكلمات مختلفة

---

[1]– المعجم المفصّل في فقه اللغة، مشتاق عباس، ص:90، 91.

[2]– المرجع نفسه، ص: 119.

[3] – ينظر علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسير ، ص:214، 215، 216.

توجد كذلك مجموعات متكلمة مختلفة أيضا، أما اللسانيات الجغرافية فيمكن لنا أن نسميها الدراسة لكل التغيرات المرتبطة بتأصيل مستعملين للغة هي في الوقت ذاته اجتماعية و فضائية[1].

لا يجد عبد الجليل مرتاض حرجا من التصريح بأن هذا التعريف مخل ،ووصفه بالنقص في هذا النص قائلا :« كما نلحظ من هذا التعريف أنه تعريف مخل بما يحيط بهذه الإشكالية من حقائق علمية صارمة مثلما وقفنا على جانب من هذا لدى سوسور مثلا ،ثم ينتقل الباحثان بعد هذا التعريف الناقص إلى ذكر أهم التصورات الأساسية التى يعالجها هذا الحقل »[2]،ليختم قوله أخيراً باستنتاج يقول فيه« ويفهم من نفس المعين السابق أن المصطلح Dialectologie (علم اللهجات) هو الذي قاد الى وضع أطالس لسانية كأن الديالكتولوجية أو علم اللهجات علم أعم من اللسانيات الجغرافية، وإذا كان هذا المصدر لم يصرح بالفرق بين الصطلحين المتداخلين فإن الذي نطمئن إليه فعلا هو أن مفهوم اللسانيات الجغرافية Géolinguistique مستوحى من الديالكتولوجية، وعائد إليها وليس العكس.»[3]، وبهذا يرتاح الباحث إلى أن مفهوم اللسانيات الجغرافيا مستوحى من علم اللهجات الذي يعدّ في الآن ذاته علم شامل وعام.

– ينتقل الباحث إلى معجم آخر و هو معجم اللسانيات الذي أشرف عليه جورج مونان، حيث سجّل منه مفهوم "علم اللهجات" في هذا النص قائلا:« هي الدراسة المقارنة لمجموعة من اللهجات التي تغطي فضاء لسانياً، هذا الحقل يسّمى أيضا لسانيات جغرافية، و نتائج هذه الأبحاث يمكن أن تودع في أطلس لساني »[4] ،فقد علّق الباحث على هذا التعريف بأن مونان

---

[1]– ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص : 23، 24.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص: 24.

[3]– المصدر نفسه، ص:25.

[4]_ dictionnaire la linguistique ,p 106 ،نقلا عن مقاربات أولية في علم اللهجات، ص:26

لا يرى إشكالا من وضع أحد المصطلحين مرادفاً للآخر على خلاف ما أشرنا إليه سابقا[1]. بمعنى أن جورج مونان من الذين أدمجوا هذين المصطلحين في مفهوم واحد.

– يشير عبد الجليل مرتاض أيضا إلى رأي آخر يتعلق بالمفهومين السابقين حيث يذكر في هذا المقام « أن باحثين فرنسيين يربطون وضوح مفاهيم الديالكتولوجية بتاريخ ظهور أطلس وينكير Wenker في ألمانيا، و الأطلس اللساني لفرنسا من قبل ادموند و جيل جيليرون نحو:1902– 1910م، لأنه ببروز هذين الأطلسين اللسانيين نشأت الدراسات اللسانية الجغرافية»[2].

وعليه فهؤلاء الباحثين في نظر عبد الجليل مرتاض يميّزون بوضوح بين علم اللهجات من جهة واللسانيات الجغرافيا من جهة ثانية، كما يرى أن علم اللهجات أسبق ظهوراً من اللسانيات الجغرافية بمنهجها الخاص، حيث يقول في ذلك « و إذا كان هذا هو الاتجاه السائد عند هؤلاء فلا يسعنا إلا أن نتفق معهم على الأقل فيما يخص الدراسات اللهجية عند الغربيين »[3] ،فبالرغم من وجود بعض الباحثين الذين يدمجون هذين المصطلحين في مفهوم واحد إلاّ أن عبد الجليل مرتاض يؤكد على التمييز بينهما.

إذن: مهما يكن من أمر فهناك تداخل بين المصطلحين فلا يمكن لأحدهما أن يقوم بغياب الآخر، فوجود بعض الخصائص و السمات التي تميّز كل منهما عن صاحبه لا يمنع من أن نقول أنهما علمان متكاملان.

---

[1]– ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات، ص:26

[2]–87 Initiation a la problématique structurale,t2,p86. نقلا عن مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 27

[3]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص:27.

2/ ميلاد علم اللهجات:

قبل الدخول في معالجة هذا العنصر تطرّق الباحث أولا إلى ذكر أهم المستويات التمهيدية لظهور علم اللهجات، حيث جعل لها فصلا كاملا سنحاول أن نصف بإيجاز غير مخل ما عالجه الباحث في هذا الجانب:

– تتسّم الإرهاصات الخلفية لظهور علم اللهجات بميزتين، ميزة داخلية و ميزة خارجية، عبّر عنهما عبد الجليل مرتاض بقوله:« أما الميزة الداخلية فهي كل المبادئ و العلل التي تتعلق باللغة في ذاتها و لذاتها، و أمّا الميزة الخارجية فهي تتّصل اتصالا ضروريا بممارسة اللغة من مختلف الفئات المتكلمة »[1]، واصفا إياها بالتعقيد قائلا:« و نظرا لتعقد هذه الإرهاصات الخلفية التي أفرزت في نهاية إدراك أبعادها الشائكة علم اللهجات، فإن هذا الأخير لم يكن ممكنا أن يوجد قبل الثلث الأخير من نهاية القرن التاسع عشر، ليعرف دراسات منهجية علمية منحته الهوية الشرعية ليصبح مادة مستقلة متميّزة ذات كرسي خاص في الجامعات»[2].

ويبدو أن الباحث أسهب في سرد تلك الحقائق التاريخية عن المستويات الخلفية لبروز علم اللهجات، الداخلية و الخارجية، واصفا إياها بالتفصيل، ولعل ذلك بهدف إعطاء صورة واضحة المسار عن نشأة هذا العلم، و قد استعان في سرد معلوماته بكتاب : تاريخ علم اللغة ، جورج مونان، بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية الأخرى.

يرى الباحث أن المستويات الخلفية التي كانت وراء ظهور علم اللهجات سواء الخارجية منها أو الداخلية :«لم تكن يسيرة في معطياتها، ولا قصيرة في زمانها، و لا مطّردة اطرادا طبيعيا في مسارها، بل كانت صعبة و طويلة و معقّدة، و ذلك راجع فيما نعتقد إلى طبيعة حقل اللسانيات الجغرافية الذي يكاد يرأس اللسانيات العامة نفسها، حتى و لو كان وليد مشتّقا. إننا لا نرى، فيما نرى علما إنسانيا أعم من علم اللهجات ...، و من هنا كان ذا تاريخ طويل إلى ما

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 36.

[2]– المصدر نفسه، ص: 36.

قبل التاريخ، لأنه حين تنفذ معلوماتنا التاريخية حول اللغة يتمثل لنا علم اللهجات، و حين نبحث عن أصول لغتنا المشتركة يتجلى لنا هو أيضا... و لذا فإن تأخر ظهوره إلى أواخر القرن التاسع عشر لم يكن من قبيل المصادفة التاريخية أو العلمية »[1]، يبدو من خلال النص أن سبب تعقيد المستويات الخلفية يرجع إلى طبيعة هذا الحقل اللغوي الجغرافي، كما أن الباحث لا يرى إشكالا في الحكم على علم اللهجات بأنه علم لا يوجد علم إنساني أرحب و أعم منه.

بعد هذا الاستعراض المبسّط للمستويات الخلفية التي كانت وراء ظهور علم اللهجات، نتطرق الآن إلى ميلاد هذا العلم.

يؤرّخ عبد الجليل مرتاض لظهور علم اللهجات بوصفه مادة لسانية جغرافية أو ديالكتولوجية بظهور الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على أبعد تقدير[2]، حيث يرى أن« بداية المرحلة الثانية من نفس القرن قد تبدي تنازعا بقدر ما فيه من احتشام، فإنه لا يخلو من قوة و معنى كبيرين،لأن التطوريين أو التعاقبين Les diachronistes في المنتصف الثاني من هذا القرن عموما صاروا أكثر تفتحا إزاء التكلمات المحلية و أقوى استعداداً للمساهمة في البحث اللساني الجغرافي أو اللهجات التي لطالما ظلت منبوذة، و في أحسن الأحوال ظلت ممزوجة منهجيا في إطار الدراسات المقارنة و غيرها »[3]. و يضيف مستدركا أن هذا لا يعني أن كل شيء قد أُنجز في هذه الفترة، ليصير علم اللهجات ذا منهجية علمية مقنعة، لأن هذه المادة اللسانية الميدانية لا يمكنها في مرحلة وجيزة أن تتحرر من اللسانيات النظرية ، ولذا كان علينا- بلسان عبد الجليل مرتاض- أن ننتظر بداية القرن العشرين حتى تفقد الديالكتولوجيا كل اتصال مع اللسانيات النظرية[4].

---

[1]- مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 64.

[2]- ينظر المصدر نفسه ، ص: 75.

[3]- المصدر نفسه، ص: 75.

[4]- ينظر المصدر نفسه، ص: 75، 76.

بعد هذا التأريخ لظهور علم اللهجات ينتقل الباحث لتحديد المكان الذي ظهرت فيه؛ أي البلد الرسمي لهذا العلم، حيث يذهب إلى القول بأن هذه المادة لا شك أنها ظهرت في أكثر من بلد، و بالخصوص فرنسا و ألمانيا، إلا أنه يرجّح ترجيحا علميا أن" ألمانيا "هي مسقط رأس علم اللهجات[1].

هذا و يعترف الباحث بالفضل الكبير لفرنسا في ظهور هذا العلم في أكثر من موقف، فنجده يقول و يردد أنه لا يجهل بأن:[2]

– قوستان باريس و بول ميي الفرنسيين كانا يحثان و يشجّعان على دراسة التكلمات المحلية دراسة وصفية على غرار منهج العلوم الطبيعية.

–جان بيير روسلو يعتبر الرائد لتأسيس الديالكتولوجية الفرنسية العلمية كما أسس مع نظيره جيلييرون أول مجلة تعنى باللهجات.

– كليدا Cledat الذي أصدر في المدة نفسها مجلة اللهجات.

– أول كرسي لعلم اللهجات أسند إلى جيلييرون في مدرسة الدراسات العليا بباريس منذ عام 1883م.

– أول أطلس لساني جغرافي قبل جورج وينكير الألماني ظهر في فرنسا على يد جيل جيلييرون بالتعاون مع إدموند.

فبالرغم من هذه الحسنات التي تنسب إلى فرنسا في نضج و تبلور علم اللهجات إلا أن أستاذنا الفاضل يؤكد مرة أخرى بأن« الدراسات الديالكتولوجية الألمانية انبثقت من نظريات لسانية جغرافيا عامة لا تختص بتكلمات لغوية أو لهجية خاصة دون أيّة تكلمات أخرى، بمعنى أن علم اللهجات الألماني علم ذو طابع تنظيري لساني عام، يمكن لنظرياته أن تطبق على أية لغة مرت بنفس المراحل و التطورات و الأحداث.»[3]

---

[1]– ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 77.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص: 77، 78.

[3]– ينظر المصدر نفسه ، ص: 78.

بعد هذا الحكم العلمي الذي أصدره عبد الجليل مرتاض في حق ألمانيا ينتقل إلى فئة أخرى كان لها دور بارز في التعجيل بظهور هذا العلم كمادة لسانية مستقلة تعرف باسم "النحاة الجدد" و تسمى أيضا "النحاة المحدثون"، وللإفادة فإن هذه الفئة « ظهرت في السبعينات من القرن العشرين في جامعة ليبرنج (بألمانيا)، و هي جماعة من اللسانيين الموهوبين المجتهدين كان دورهم في تطور الدراسات اللسانية على درجة بالغة الأهمية، عرفت هذه الجماعة في البداية باسم "مدرسة ليبرنج"، أما الآن فاسم النحاة المحدثون (..Jung grammatiker) معروفة على نطاق واسع...، و بقي حتى يومنا هذا رمزا لمدرسة جادة مجتهدة تستحق مكانا رفيعا في تاريخ اللسانيات »[1]، هكذا نبّه عبد الجليل مرتاض على أن النحاة الجدد كانوا أكثر اهتماما ممن سبقوهم بالبحث و التنقيب عن عناصر و مواد لغوية تؤخذ مباشرة من تكلمات محلية، و هذا من أجل تأكيد دعواهم حول ما اسموه ب "القوانين الصوتية"، فبرغبة من هؤلاء النحاة الجدد تقدمت الدراسات اللهجية في اتجاهها العلمي الصحيح و السريع[2].

يمكن القول إذن أن مجيء تلك الدوافع و الخلفيات السابقة بهذه الصفة المتعددة و المتنوعة، أسهم و بشكل كبير في بروز و تبلور علم اللهجات في صورته العلمية المستقلة.

3/مقاربات ديالكتولوجية في أشكال التواصل:

عالج عبد الجليل مرتاض في هذا الجزء عدة عناصر فرعية تدخل ضمن هذا المجال ،سنحاول ذكرها ودراستها على النحو الاتي :

_ لغتنا فضاء غير مغلق :

يبدو من العنوان أن الباحث أراد أن يوضّح للمتلقي أن اللغة مجال شاسع ليس له حد معين، حيث عبّر عن ذلك قائلاً:« اللغة فضاء رحب للجميع وهي أوسع مساحة، وأطول دواما،

---

[1]– اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ترجمة: سعد عيد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م، ص: 83.

[2]– ينظر مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 61، 82.

وأقوى ممن يمارسها، وليست ملكا لسلطة دون رعية، ولا حكراً على سهل أو مدينة دون جبل أو قرية، الأمي والعامي كلاهما يتكلم لغة مثلما يتكلمها المتكلم والمثقف... والفرد لا يكتفي إلا بنهل ما يحتاج من استعمالات اصطناعية وبعبارة أخرى حسب ملكة طبيعية أو تطبيعية»[1]، بمعنى أن الفرد مهما كان ملمّ بلغته من الداخل ومن الخارج إلا أنه محكوم عليه بعدم استعماله كل مستوياتها دفعة واحدة، فهو تابع للغته من حيث الاكتساب مستقل عنها من حيث الاستعمال على حد تعبير عبد الجليل مرتاض[2]. وهذا ما وضّحه أكثر في العنصر الموالي:

_ لغتنا أكثر من استعمالاتنا:

من المعلوم أن اللغة حاجة اجتماعية، فإنها غير مرتبطة بالفرد كفرد، بل هي مجموع من الأدلة يتواضع عليها المستعملون أو ما يسميه العلماء القدماء بالوضع أي تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم الثاني ويقابله الاستعمال؛ بمعنى أن استعمال الوضع أو كيفية أدائه في الخطاب راجع إلى الفرد في حين أن اللغة مادة مشتركة لا يمكن نسبتها إلى شخص بعينه[3]، ولهذا أقرّ الباحث على أنّ اللغة أكثر من الاستعمال، وأن« الاكتساب والاستعمال كليهما ينضوي تحت فضاء لساني مفتوح على الزمان والمكان والأخلاط البشرية والعلاقة بينهما تتم من خلال كثرة أو قلة النشاط وتنوعه عبر الأشكال اللغوية العادية أو الانتقائية»[4]، حيث يوضّح العلاقة بينهما (اللغة ، الاستعمال) عبر هذه المتراجحة التي وضعها على هذا الشكل[5]:

اللغة > الاكتساب .....(1)

الاكتساب< الاستعمال .....(2)

---

[1]- مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 91.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص ي91:

[3]- ينظر علم اللغة الاجتماعي عند العرب هادي نهر، ص 71، 72.

[4]-مقاربات أولية في علم اللهجات،ص: 92.

[5]- المصدر نفسه، ص: 93.

من (1)و(2)ينتج:

اللغة >الاستعمال.

وبالفعل فإن اللغة مخزون فكري يحتوي على عدةعناصر ومستويات لسانية كالترادف والتضاد والاشتقاق ...، وما إلى ذلك لكن عند الاستعمال الفعلي للغة يتخيّر الفرد من مفرداتها ومعانيها على حسب ما تقتضيه الطبيعة والمقام.

وعليه فاللغة مادة مشتركة وشاملة، والاستعمال محدود وخاص بكل فرد.

لغتنا تتنوع باستمرار:

يرى الباحث في هذا العنصر أن؛ اللغة تتنوّع باستمرار، لأن« شخصين اثنين من نفس الجيل ونفس البيئة، يتكلمان تماما نفس اللهجة وهما من وسط اجتماعي واحد ليس لهما نفس الكيفية المتطابقة للتكلم، فمن خلال فحص دقيق لتكلم كل فرد يكشف فوارق مفصلة لا تحصى، في اختيار الكلمات في بناء الجمل ، على الأقل في الاستعمال الأكثر شيوعا سواء تعلق الأمر بكلمة كذا وكذا أو جمل، وكذلك في النطق الخاص للصوائت والصوامت بكلمة واحدة، في كل هذه الأشكال التفصيلية مثل سرعة النبر laccentuation التنغيم lintonation ، والتي تشكل النشاط في لغة محكية بمعنى هؤلاء الأفراد يتكلمون لهجات مختلفة قليلاً تعود إلى لغة واحدة بطريقة غير مماثلة لنفس اللغة، ويوجد في هذه الحالة فرق هام بين التغيرات variation الفردية واللهجية.»[1]؛ وكأن الباحث يريد أن يقول أن ثمة فوارق دقيقة بين المتكلمين من نفس اللهجة ومن وسط اجتماعي أيضاً، وهذا ما يعرف بالفروق الفردية ويقصد بها:« ذلك التباين الذي يحدث بين الأفراد في قدراتهم العقلية وخصائصهم النفسية والاجتماعية بسبب اختلاف ظروفهم البيئية والاجتماعية.»[2]، فهذه الفوارق تساهم بلا شك في تنوّع اللغات واللهجات بصفة دائمة.

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 93، 94.

[2]– محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطفي بوقربة ، معهد الأدب واللغة ، جامعة بشار، ص: 08.

_ إشكالية فضائية بين اللغة واللهجة:

يبرز عبد الجليل مرتاض في هذا العنوان إشكالية الحدود الجغرافية للهجات يقول في هذه الفكرة أنّ« الإشكالية المنهجية تكمن في تحديد Limitation وتعيين حدود أرض Dimilitation حيث يكون الفضاء اللهجي في الأولى أرحب وفي الثانية يكون محصوراً بحدود أو بحر أو حرمة أرض شعب أو قبيلة أو حتى لغة أو لهجة أخرى مناقضة لها أو تتصل بها تاريخيا.»[1]، فلعلّ شساعة المساحة هي السبب في وجود هذا الالتباس بين الحدود اللهجية واللغوية، وهذا ما يؤدي إلى التّنوع الجغرافي _ كما أشار دي سوسير _ فهو يرى أن من بين أسباب التنوع الجغرافي أن اللهجات ليس لها حدود طبيعية فبقدر وجود الأماكن الجغرافية توجد اللهجات ، كما أن اللغات ليس لها حدود طبيعية أيضا ولاسيما اللغات المتقاربة، فالخطوط الفاصلة بين اللغات كالخطوط الفاصلة بين اللهجات تختفي في مراحل الانتقال.[2]

علم اللهجات والأطالس اللغوية:

سبق وإن أشرنا إلى الأطلس اللغوي في الفصل الأول وقلنا أن الاطلس اللغوي هو:« مصطلح حديث يدخل ضمن مفردات (علم اللغة الجغرافية) ويراد به: أن يقوم الدارس بتسجيل الواقع اللغوي – كما يصفه الدارسون _ على خرائط يجمعها أطلس عام، وتختص كل خريطة بكلمة، وتوضع عليها جميع الاختلافات بين المناطق في هذه الكلمة، أو في التعبير عن معنى، أو عن زمن، فإذا تمت الخرائط يمكن معرفة مدى انتشار المترادفات، والمشترك اللفظي، والأصوات والصيغ ويمكن تقسيم القطر إلى مناطق وجزر لغوية.»[3] فبفضل هذه الأطالس اتّضح المفهوم الديالكتولوجي أكثر فأكثر بالنسبة لما يقابله من مصطلحات متعارضة معه مثل اللغة الرسمية أو الوطنية أو الأدبية على حسب قول عبد الجليل مرتاض، ويضيف قائلاً:« إن

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 95، 96.

[2]– ينظر المصدر نفسه ، ص: 222، 223، 225.

[3]– المعجم المفصّل في فقه اللغة ، مشتاق عباس، ص: 47، 48.

الأطالس حاولت أن تحدد إقليماً ضيّقاً أو واسعاً للتموضعات اللهجية المعتمدة شعبياً أو تاريخياً ووفق تنوعاتها، إلا أن هذه الأطالس ليكسيكية أكثر ممّا هي مورفولوجية أو سانتاكسية أو حتّى فونولوجية أو صوتية، لأن ما بقي جليا من اللهجات المحلية أو المحكية محليا أقل بكثير ممّا اختفى من عناصرها الأساسية لكن السمات اللهجية ثابتة غالبا ما تنبئ بخاصية الظواهر وسعتها أو تقويتها، ولكن هذه السمات لن تتحقق إلا بعاملين: جغرافي ولساني فبفضل هذين العاملين سنستطيع اليوم مثلا بناء نماذج شاملة للهجات العربية.»[1]؛ وعليه فظهور الأطلس اللغوي كان له دور بارز على علم اللهجات حيث أضاف منهجاً جديداً لدراسة التموضعات اللهجية وخصائصها اللغوية.

الرسمي واللارسمي لعناصر ديالكتولوجية:

يشير عبد الجليل مرتاض في هذا العنصر إلى بعض المفاهيم التي تتعلق باللغة حيث يذكر أن « بعض المراجع ترى أن اللغة Langue معنيين: أولهما مفهوم لساني بنوع خاص حيث تعرف اللغة La langue كنظام يسمح للتواصل دون أي حكم لقيمتها والثاني يقوم على الشريعة السوسيو- ثقافية التي تحتفظ لتعريف اللغة بعدد من المقاييس للنموذج: مقياس رسمي دولي، وجود نصوص مكتوبة وأدبية،... وهذا التعريف الثاني للغة محقّر للأشكال التواصلية الأخرى.»[2]؛ يفهم من هذا النص أن التعريف الأول للغة شامل تدخل فيه اللهجات المحلية، أما الثّاني فهو خاص باللغة الرسمية لبلد معيّن.

من المفاهيم التي تطرّق لها أيضاً نجد: " لغة، لهجة، لهجة محلية أو إقليمية Patois"، حيث يرى أن ثمة مقاربة لصيقة بين المفاهيم الثلاثة، وقد عبّر عن هاته المصطلحات الثلاثة قائلاً:« وهذه العناصر الثلاثة، لا تعرف لغة رسمية تخلو منها وعلى العكس من ذلك يمكن للهجة محلية أن تكون خلواً من العنصرين الآخرين باعتبارها مقصورة على مجموعة مشكلة

---

[1]- مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 102.

[2]- المصدر نفسه، ص:104، 105.

عادة ما تتميّز بخصائص اجتماعية ونفسية وثقافية معيّنة يصعب على أي غريب عنها اختراق مجموعتها، ممّا يجعل تلك التكلمات منزوية ومنقبعة لا تزيد كل يوم إلا بعداً عن اللغة الرسمية وحتّى اللهجة العامية التي عادة ما تكون أكثر انتشاراً وقرباً من اللغة الرسمية، لأن Patois ما هي إلا صورة مشوّهة مصغرة للهجة Dialecte ، وصورة مشوّهة مكبّرة للغة الرسمية»[1]، يتبين لنا من خلال النص أن العلاقة بين المصطلحات الثلاث هي علاقة العموم والخصوص، فاللغة الرسمية تشمل العنصرين التاليين (اللهجة واللهجة المحلية)، بينما اللهجة المحلية يمكن أن تكون خالية من العنصرين الآخرين بحكم أنها تقتصر على مجموعة متكلمة لها سماتها الاجتماعية والثقافية...، أما اللهجة فتأتي في الدرجة الثانية كما وصفها عبد الجليل مرتاض في قوله:« هي تجربة الانقسامات داخل ما نعتبره لغة واحدة ... واللغة تكمن في الوقت نفسه من ضمان الاتصال بين مجموعات متجاورة، وذلك خلافاً لـ: Patois التي تأتي في الدرجة الثالثة من التفاهم.»[2]

ولا بد من التنويه أن بعض المراجع سجّلت أن « اللهجة Dialecte تستخدم لتدل على نوعيات إقليمية مكتوبة، ذات تراث أدبي، بعكس نوعيات إقليمية غير مكتوبة يطلق عليها مصطلح Patois»[3]؛ بمعنى أن اللهجة تعبّر عن عناصر مكتوبة، بينما اللهجة المحلية أو الإقليمية فتعبّر عن عناصر غير مكتوبة أي تكون شفهية.

فضلاً عمّا ذكر فإن الباحث يشير إلى مصطلحات وعناصر لغوية تتصل باللغة ولهجاتها وعلم اللهجات بشكل عام، يقول عبد الجليل مرتاض في هذا المعنى:« الأجدر أن نشير إلى أن هناك أخلاطا وعناصر أخرى عديدة تدور في فلك اللهجات وفضاء علم اللهجات أو اللسانيات

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات ، 107، 108.

[2]– المصدر نفسه، ص: 108، 109.

[3]– علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب ، القاهرة، ط2، 1990م، ص:45.

الجغرافية، ومن هذه العناصر Argot، sabir، Créole»[1]، حيث أعطى لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة مفهومه الخاص به بشكل مفصل على هذا النحو[2]:

- Créole: يعني هذا العنصر تلك اللغة الخليطة أو الهجينة التي تنبثق من لغة واحدة، ولا من شعب واحد، وظهر ميلادها نتيجة حركات الشعوب ما بين مد وجزر فيما بينها من خلال العلاقات والتعاملات التجارية والاقتصادية والسياسية والدينية، أي أن هذه اللغة نشأت كنتيجة حتمية من جرّاء التكلمات المشتركة لبضع كلمات وتراكيب للغات المختلفة.

- sabir : هي لغة مزيج تدل على تكلمات ناتجة عن اتّصالات مزجية غالبا ما كانت ذا طابع تجاري بين شعوب ذوي لغات متباينة.

- Argot الأرغة: يدل هذا العنصر على تكلم لغات سرية مستعملة من قبل أناس مهمشين Des population Marginales ويتعلق الأمر بأصالة قاموس لغوي معروف فقط لدى زمرة محدودة من القوم لكن بعض هذه الكلمات لن يلبث يوماً بعد يوم أن يتسرّب إلى المحيط العام، وفي هذه الحالة يجب أن تتجدّد الأرغة L' Argot.

بناء على ما سبق فإن هذه العناصر تدلّ على تكلمات ناتجة من تواضع فئة معيّنة من أجل التفاهم والتواصل فيما بينها، بالرغم من وجود بعض الاختلافات بين الأشكال اللهجية ولا سيما من حيث مصدر ومنشأ كل عنصر.

صعوبة تحديد كل الأصناف التواصلية:

يقصد عبد الجليل مرتاض بهذا العنصر أنه من الصعب جداً في هذا الفضاء الجغرافي الممتد على مستوى اللغة أن تحدد وتحصي كل الأصناف التواصلية بسبب عاملين بارزين هما[3]:

---

[1]- مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 111.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص: 112.

[3]- المصدر نفسه، ص: 119.

_ أن اللغة أو مظاهر اللسان البشري كواقعة اجتماعية وحضارية ونفسية وتاريخية...، لا يمكن الإلمام بها في زمن دون زمن آخر في حين أنّ اللساني هو في جوف الزمن.

_ أن هذه التواصلات تتعدد بتعدد هذا الزمان إلى جانب المكان.

فعاملا الزمن والمكان يفسّران صعوبة تحديد الأصناف التواصلية، فبتعدد الزمن والمكان تتعدد التواصلات اللسانية، ممّا يؤدي إلى التنوّع الجغرافي اللساني وهذا ما أكّده دي سوسير قائلا بأن الزمن العامل الأساسي لهذا التنوع، فلو نقلت لغة ما مستعملة في مكان محدد، وزرعها المستوطنون في مكان محدد آخر، بعد مرور مدة من الزمن تظهر فروق المفردات والقواعد واللفظ، تفصل اللغة الأصلية عن اللغة التي زرعت من قبل المستوطنون، وليست اللغة المنقولة هي التي تتغير وحدها، وتبقى اللغة الأصلية ثابتة أو العكس وهذا خطأ وإنما يظهر التغيير في إحدى اللغتين أو فيهما معاً، فدراسة المسألة من جانب واحد لا يفي بالغرض، لأن العناصر الجديدة في اللغة الأولى مهمة كاللغة الثانية[1].

_ لا يحل خطاب محل خطاب آخر:

يبدو أن الباحث في هذا العنصر أراد أن يبيّن أن« الزعم لبيان مستويات لغوية من التواصلات البشرية فيما بينهم وبين عصورهم هو ترويج ذاتي أكثر ممّا هو واقع موضوعي ثابت، مادامت لغتنا ترسم حكياً وكتابةً باستمرار، وإننا لا نعرف حكياً أو رسماً لها حل يوماً محل نظرية أخرى في تواصل "رسميّ، أو " غير رسمي" ، لغة أحمد شوقي لم تغننا عن لغة امرئ القيس فضلا عن أن تقوم مقامها على الرغم من أن كليهما يوصف بأنه أمير للشعر العربي، وكتابة ابن العميد لم تنسنا رسائل عبد الحميد، ولا تلتفت إلى النقدة المنفعلين بإعجاباتهم: " بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بعبد الحميد، أو بعض أقوال اللغويين الآخرين: ختم الشعر بابن هرمة»[2]، يتضح من خلال النص أن الخطاب اللغوي مهما ارتقى إلى مستوى

---

[1]– ينظر علم اللغة العام ، دي سوسير، ص: 219.

[2]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 120.

عالٍ فإنه لن يغني عن خطابات أخرى أو يقوم مقامها، حيث نجده ينتقد بعض الأقوال التي جرت على ألسنة بعض النقاد الذين يزعمون أن الإبداع والكتابة محصورة في فئة معيّنة.

يضيف عبد الجليل مرتاض بعد ذلك شيئاً مهمّاً يتعلق بإعجاز القرآن الكريم؛ حيث يرى أن القرآن الكريم لم يعجز العرب في نظمه فقط، لأن القرآن حجة للغة العربية وليس حجة عليها، ولكن ناحية الإعجاز _كما ذكر الباحث_ تكمن أيضاً في« أن متكلما عاديا عامياً أو مثقفاً لا يستطيع أن يحكي أو ينسج رسماً كلاميا محل كلام المتكلم من جنس كلام لغته... وهذه وجهة عامة لا تتعلق باللغة وحسب بل بكل من أشكال الفن والتعبير، فكيف إذا كان هذا الكلام وحياً إلهيا؟ فمن هنا كان مدخل إعجاز بالسنة للغة القرآن المتفرّدة لا بطبعها وخصائصها وحسب، ولكن باستحالة نسجها ونظمها أكثر من مرة، لأن أي نسج مزعوم من شاك أو ملحد سيؤدي به إلى نسج لغة أخرى غير اللغة القرآنية.»[1]، بمعنى أن كل متكلم له بصمته الخاصة بحيث أنه لا يمكن أن ينسج كلام غيره بنفس الوجه الذي كان عليه أو بالأحرى قد يقول المتكلم نفس القول لكن بشكل مختلف، فما بالك باللغة القرآنية المعجزة في نظمها وأسلوبها وبيانها.

_ اللغة إبداع متحرك وثابت:

حاول الباحث في هذا الفرع توضيح مفهوم يخص اللغة الإنسانية يقول في هذه الفكرة أن« اللغة الإنسانية ليست إشارات سيميولوجية غالبا ما تظل ثابتة أو تصويبات حيوانية جامدة، بل هي إبداع متحرك خلاّق،... لكن الناس اعتادوا أن يخدعوا فيجعلوا لكل فن من الإبداع وسيلته التبليغية التي تعبّر عنه إذ يسود لدى علماء لغتنا أن هذه المترادفات لاسم واحد أو المصادر المتعددة لفعل واحد، ترجع غالباً إلى تفسيرات اجتماعية جغرافية أو لهجية وهذا من إحدى الوجهات قد يكون صحيا ولكنه ليس هو الرأي الوحيد الذي يجب أن يظل سائداً...، ولذا فإن المجتمع اللغوي المتفرق في مناطق جغرافية والمستعمل للغة واحدة لا يسمّى مدلولاً واحدا في لحظة واحدة ممّا يجعل هذا الوليد يأخذ أكثر من إشارة واحدة فور حضور اللغة، ثمّ إنّ اللغة

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 120، 121.

ملك للمجتمع من حيث الاستعمال، ولا يمكن منعها أو فرضها.»[1]، وبالفعل فإن اللغة ضرورة اجتماعية، تتنوّع باستمرار _ كما أشرنا في عنصر سالف_ ولكنها مستقلة من حيث الاستعمال.

4/ بين اللغة الجهوية واللغة المشتركة:

أول ما تناوله الباحث في هذا القسم هو إشكالية اللغة الجهوية، حيث يرى أن« اللغات الجهوية تفهم على أنها من نفس عائلة اللغة الوطنية أو المشتركة أو الرسمية، وهي تمثل تكلمات واسعة داخل وحدة جغرافية سياسية لكن اللغة الرسمية كثيراً ما تبتلع أو تقصي هذه اللغات الجهوية كما حدث للهجات الفرنسية العتيقة مع لهجة" ايل دي فرانس:Il de France منذ أن اعتبرت اللغة الفرنسية، وكما وقع للهجات شعوب مع العربية خلال الفتوحات العربية الإسلامية.»[2]؛ تعرض الباحث بعد هذا التمهيد إلى القول بأن ماهية اللغة الجهوية تبقى غير محددة من الناحية العلمية واللسانية بالإضافة إلى وجود صعوبة في هذا التحديد ما دامت تتصل بالبنية الاجتماعية الثقافية على حسب قول عبد الجليل مرتاض، الذي يرى في الآن ذاته أن هذه الإشكالية تبدو معقدة لأنها متداخلة بثلاثة كيفيات معجمية على الأقل، يجملها على النحو الآتي[3]:

1_ معجم مفرداتي كلي لا علاقة للمتكلم به مع الآخر لأنه يتصل باللغة ذاتها، مثل: الألوان والأصباغ والأشكال،... قبل تجسيدها.

2_ معجم مشترك، علاقة مرتبطة بتواصل المستخدمين وتوظيفهم له وفق احتياجاتهم أو هذا المعجم معتمد رسميا من الجميع وهو الذي يمثل الأمة وكيانها بين الشعوب الأخرى والأمم، وهو الذي تتقاطع فيه اللهجات الفردية Idiolectes من خلال الاستعمالات التي يخزنها المعجم الكلي أعلاه.

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات ، 122.

[2]– المصدر نفسه، ص: 127.

[3]– ينظر المصدر نفسه، ص: 28، 29.

3_ معجم فضائي، وهذا هو الأهم في نظر أستاذنا ولا يمكن ضبطه بحيز معين لأنه يتصل بالاستعمالات الفردية وليس بالإنتاج الفردي.

بعد سرد هذه المعاجم الثلاثة من طرف الباحث ينتقل إلى التعقيب عليها بقوله:« وليس معنى هذا أن هذه المعاجم الثلاثة هي وحدها تمنحنا تصورات مفصّلة ، ولكنها فقط تفتح أمامنا الطريق لإدراك ما يتصل بتكلمات جماعية وتكلمات فردية وكيف تؤول هذه التواصلات المتنوعة عبر متكلميها إلى هذه الأنماط اللهجية المتميّزة لمحليتها عن اللغة النموذجية العامة بخصائص صوتية وسانتكسية ومورفولوجية يكون بعدها أو قربها اللغة الرسمية حسب الأحداث التي سببتها أو الظروف التي تعمل فيها.»[1] ؛ وعليه فالمعاجم الثلاثة مقدمة لإدراك العلاقة بين التواصلات المتنوعة التي تتميّز بمحليتها عن اللغة النموذجية العامة بخصائص صوتية وسانتكسية ومورفولوجية؛ بمعنى إدراك مدى قرب وبعد اللغة المحلية عن اللغة المشتركة من حيث المستويات اللغوية.

بناءً على ما سبق يمكن القول أنّ الباحث أراد بمصطلح اللغة الجهوية؛ اللغة المحلية. وللتوضيح أكثر فقد سجلّت بعض المعاجم الحديثة أن اللغة المحلية هي:« تلك اللغة التي تتميّز بقابليتها للتكلم بها في أغلب شؤون الحياة اليومية في منطقة معيّنة أو بين جماعة من الناس، ويتضح ذلك بصفة خاصة بالنسبة لمجتمع يشبه مجتمعات العصور الوسطى حيث كانت توجد لغتان اللغة المحلية للمداولات العامة واللغة اللاتينية للدراسة والأدب.»[2] ؛ هذا وقد نبّه عبد الجليل مرتاض إلى عدم الخلط بين اللغات الجهوية واللهجات واللغات المستقلة التي لا تمت بصلة إلى اللغة المشتركة أو النموذجية العامة بين المتكلمين في فضاء جغرافي لساني مشترك أو مختلف، وقد وضح هذا المفهوم بطرح تساؤل حول الأمازيغية قائلا: هل يمكن اعتبار الأمازيغية لهجة أم لغة نموذجية أم لغة جهوية ؟ يجيب عن هذا السؤال محلّلاً بأن سلالتها

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 129.

[2]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص: 318.

الاولى حامية ذات صلة تاريخية توليدية بالسامية اللغة الأصلية للعربية، ولكن الجزائري الذي لا يعرف الأمازيغية فإنه لا يفهمها بشكل مطلق باستثناء بعض الألفاظ الحضارية والدينية المشتركة فهي إذن ليست لغة جهوية أو ذات سمة لهجوية كالعامية مثلاً، وعليه فقد اعتبرها الباحث لغة مستقلة في نطقها وبنياتها الأخرى[1].

وللإشارة فإن عبد الجليل مرتاض أكّد على مكانة اللغة الجهوية بين اللغات في هذا النص الذي يقول:« علينا أن ننظر إلى لغتنا الجهوية نظرة طبيعية على أنها تشكل عيّنة جوهرية من شخصيتنا وتراثنا وتاريخنا، وأن الاهتمام بها يجب أن يدخل في إطار توطيد وحدتنا الوطنية وليس العكس.»[2].

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى ذكر وتوضيح بعض اللغات التي تدخل ضمن هذا المجال كاللغات الاجتماعية، اللغات الموضوعاتية...، سنحاول الوقوف على ذكر مفاهيمها كما جاء بها الباحث مع التحليل:

_ اللغات الاجتماعية:

يعرف الباحث هذا النوع من اللغات بقوله:« أما ما يسمى باللغات الاجتماعية... فهي في حضارتنا تقابل معارضة الطبقة المسيّرة في المجتمع طبقات أخرى بحيث يمكن أن يكون التوزيع اللغوي مختلفاً نسبيا بين الفئات المتكلمة على مستوى لغة واحد... إن الطبقات الاجتماعية التي تشعر بعقدة التفوق الاجتماعي أو الحضاري ربما تشمئز مما تسمع متداولاً حولها من كلمات تتلفظ بها طبقات أخرى من نفس اللغة والجنسية والمدينة.»[3].

---

[1]– مقاربات أولية في علم اللهجات ، ص: 131، 132.

[2]– المصدر نفسه، ص: 133.

[3]–المصدر نفسه، ص: 135، 136.

من خلال النص نلاحظ أن اللغات الاجتماعية تعطي اهتماماً كبيراً إلى الطبقات الاجتماعية حتى نجد أحياناً بعض المراجع تطلق على هذا النوع من اللغات اسم: " اللغات الطبقية"[1]، بحكم أنها تراعي طبقات المجتمع وفئاته.

وللإفادة فإن اللهجات الاجتماعية تنتج من الاختلاف في الجنس والمهنة والتربية والعرق...، بالإضافة إلى ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية، ونواحي التفكير، ومستوى المعيشة، وحياة الأسرة، والبيئة الاجتماعية، والعادات والتقاليد...، فهي أدق وسيلة للتعبير عن ثقافة وطبقة ومهنة المتكلم بها، فسلوك الدارس اللغوي في هذا المجال يكون منصباً دوماً على معرفة الاختلافات الطبقية الاجتماعية والتي تترك أثراً مباشراً في اختلاف لهجات أفراد عن الآخرين[2].

إذن فاللهجات الاجتماعية تنشأ من خلال عدة فوارق متنوعة تتصل بطبقات المجتمع المتعددة وفئاته المختلفة.

_ لغات الأجيال:

يقصد بهذا الصنف من اللغات « تلك التي تختلف معجمياً من جيل إلى آخر أي التي تتكلم في فترة زمنية محددة أو معطاة... فالصغار أو الشبان مثلا لا يتكلمون مثل كبار السن وبعبارة أخرى فإن نظرة تزامنية للمعجم نجده يحمل في طياته آثاراً للزمن ...، إن اللغة ليست مرتبطة بعمر فرد ولا حتى بمجتمع بأسره بقدر ما هي مرتبطة بطول عمر استعمالها القديم وتطوّره أو اختزانه في استعمال جديد ليس فقط في ناحيته المعجمية بل قد يحدث ذلك في مجمل نواحيه الأخرى.»[3] ، يبدو من فحوى النص أن هذا النوع من اللغات يرتبط بزمن

---

[1]– ينظر الأنتروبولوجيا اللغوية، مها محمد فوزي معاذ، ص: 170، 171، 172.

[2]– مقاربات أولية في علم اللهجات، 137، 138.

[3]– الانتروبولوجيا اللغوية، ص: 173.

استعمال لغة معيّنة، فقد لا يستطيع أحد الجيلين أن يفهم الآخر وهما يعيشان في بيئة واحدة ويتكلمون لغة واحدة، ويطلق اللغويون على ذلك اسم " الفجوات اللغوية بين الأجيال"[1].

_ اللغة الموضوعاتية:

يوضّح عبد الجليل مرتاض هذا الصنف من اللغات قائلا:« وأمّا اللغة المتعلقة بموضوع الكلام أوAngue thématique فهي تلك اللغة التي تضم مواضيع ذات منفعة مثل النشاطات المهنية أو الانشغالات أو أوقات الفراغ...، وبهذا المعنى فإن اللغات التيماتيكية، بحسب علاقتها المباشرة مع العالم، تزوّد المعجم بعناصره الأكثر عدداً والأكثر تغيراً ، وهي مستودعة عموماً في الموسوعات والمعاجم المتخصّصة.»[2]

ولعل اللهجات الحرفية تدخل ضمن هذا الضرب من اللغات باعتبارها تهتم بالجانب المعجمي للغة فهي تلك« اللهجات التي يتكلم بها أهل الحرف المختلفة فيما بينهم، وذلك مثل: النجارين، الصيادين، البحارة...، فاختلاف المهنة والمجال يؤدي إلى اختلاف اللهجة، فإن لكل من الزراع والصناع والصيادين والنجار رموزهم الخاصة الكلامية والتي ينحصر فهم مدلولاتها فيهم وفيمن يتّصل بهم.»[3]، يبدو من فحوى النصين أن اللغات الموضوعاتية هي لغة معجمية تخدم موضوع أو مجال معين من خلال تزويده برموز ومصطلحات خاصة بذلك الموضوع.

إذن؛ فهذه ،أهم المواضيع التي عالجها الباحث في كتابه، وحسبنا في هذه الدراسة أن نكون قد وضعنا أمام القارئ صورة تقريبية توضيحية لمضامين الكتاب.

---

[1]- الانتروبولوجية اللغوية، ص: 173.

[2]– مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 140.

[3]– الأنتروبولوجية اللغوية، ص: 174.

خاتمـــــــة

خاتمة

نستخلص ممّا تقدّمت مناقشته في البحث مجموعة من الحقائق والنتائج، نحاول إيجازها في النّقاط الآتية:

_ يحدد معنى اللهجة عدّة صفات لغوية تتمثّل أساساً في المستوى الصوتي الذي يعدّ العامل الرئيسي في تمييز لهجة عن لهجة أخرى بالإضافة إلى الصفات التركيبية والصرفية. ولابد أن تكون هذه الصفات اللغوية للهجة ممثلة في بيئة ما أي في مساحة جغرافية بحيث يتميّز مستعملوها بتلك الصفات اللغوية.

_ اللهجة ما هي إلا جزء من بيئات لهجية أشمل تجمعها لغة واحدة تكون مشتركة في مجموعة الظواهر اللغوية تسهّل على مستعمليها التواصل فيما بينهم.

_ دراسة اللهجات تعين على تفسير كثير من القراءات القرآنية، بالإضافة إلى معرفة اللهجات التي وردت عليها.

_ تشكّل اللهجات تموضعات جغرافية تختلف من بيئة لأخرى، هذا التوزيع المكاني للهجة يدرس ضمن اللسانيات الجغرافية أي علاقة اللغة بعلم الجغرافيا فقد عرف هذا النوع من الدراسات العرب القدامى إلا أنه لم يعالج بطريقة منهجية واضحة المعالم كما هو الشأن في الدراسات الحديثة التي أصبحت تهتم بوضع أطالس وخرائط لغوية في دراستها لهذا العلم.

_ لعبد الجليل مرتاض دور بارز في البحث اللهجي عند العرب والغرب وذلك من خلال كتاباته في هذا المجال.

_ حاول عبد الجليل مرتاض تبيين دور العرب القدامى من الدرس اللهجي من خلال تتبعه للمصادر اللغوية الأولى وهذا ما نلمسه واضحاً في كتابه" اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي"، كما أنه لم يتجاهل الدور الذي قدمه علماء الغرب في هذا المجال، وهذا ما

عالجناه في كتابه الثاني الموسوم بـ: "مقاربات أولية في علم اللهجات" ، هذا إن دلّ إنما يدل على جمع الباحث بين آصالة الدرس اللغوي العربي والانفتاح على الثقافة الغربية.

_ يرى عبد الجليل مرتاض أن المدونات اللهجية القديمة تعد اللبنة الأولى لتاريخ علم اللهجات العربي.

_ حدد عبد الجليل مرتاض معنى اللهجة من خلال ثلاث عوامل تتمثل في: العامل الاجتماعي، العامل الجغرافي، العمل اللساني.

فاللهجة عنده هي تكلمات تعتمد على الشفاهة ولها صفات تميّزها عن اللغة الأصلية .

_ مما أقرّه أيضاً أن اللسانيات الجغرافية عند العرب سبقت ظهور علم اللهجات ولعل ذلك يرجع إلى أن تحديد ميدان الدراسة جغرافيا والتعرف على بيئة كل قبيلة يكون أولا، ثم يتم التعرف بعد ذلك على طبيعة الواقع اللغوي أو اللهجة المستعملة.

_ اجتهد عبد الجليل مرتاض في توضيح المواقع الجغرافية لبعض الرواة وجعلها في خريطة لغوية وهذا ما يعرف بالأطلس اللغوي.

_ التأكيد على ضرورة استحداث جنس مستقل في اللغة يعرف بعلم اللهجات الأدبي وذلك من أجل تنوير الأجيال العربية بماضي تراثها وكنوزها الأدبية واللغوية.

_ يُؤرخ لعلم اللهجات بصفته مادة لسانية ديالكتولوجية بظهور الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على أبعد تقدير وذلك بفضل المستويات الخلفية الداخلية والخارجية، حيث ظهر في أكثر من بلد على رأسها المانيا وفرنسا.

_ أبدع عبد الجليل مرتاض في لغته فلا يكتفي بالألفاظ المتداولة وإنّما يستغل شساعة اللغة العربية كاستعماله ظاهرة النحت وتطبيقها على بعض التراكيب مثل: الفقلغة أي فقه اللغة ، العملغة بمعنى علم اللغة...، فهو لايرى حرجاً في استعمال تلك المصطلحات التي ابتكرها في كتابته وهذه بلا شك صبغة ميّزت لغته.

وهكذا أكون قد ألقيت الضوء على بعض ما قدّمه أستاذنا الفاضل في مجال علم اللهجات فهي لا تعد إلا قطرة من بحر الجهود التي بذلها في خدمة اللغة، فهي لا تزال تحتاج إلى

بحوث متعمّقة من أجل كشف النقاب عما قدمه الباحث الجليل والسمو بها نحو مصاف علمية أرقى.

وفي الأخير آمل أن تكون خاتمة هذا البحث نقطة بداية لدراسات أخرى أكثر عمقاً وتحليلاً، تثمر جهوداً في هذا الحقل المعرفي، وتتّجه به نحو آفاقٍ علمية جديدة.

مكتبة البحث

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

01- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4

02_ الأنتروبولوجية اللغوية، مها محمد فوزى معاذ، دار المعرفة الإسلامية، 1430هـ _ 2009م.

03_ بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، عبد الجليل مرتاض، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

04_ الخليل معجم مصطلحات النحو العربي، محمد مهدي علام وآخرون، لبنان، ط1، 1410هـ .- 1990م

05_ دراسات في تأريخ اللغة العربية، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1، 1421هـ - 2000م.

06- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،1997م

07_ السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة، عبد الرحمان الحاج صالح، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، موفم للنشر، 2007م.

08_ الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ -1993م.

09_ العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، .1981

10_ علم اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، أبريل، 2004م.

11_ علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، الجامعة المستنصرية، ط1، 1408هـ - 1988م.

12_ فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006م.

13_ فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1420م – 1999م

14_ فقه اللغة، حاتم صالح الضامن، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2007م.

15– فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، ط1، 1425هـ – 2004م، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

16– فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته، قضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خريمة، ط1، 1426هـ – 2005م.

17_ في رحاب اللغة، عبد الجليل مرتاض، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007م.

18_ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6.

19– في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1978–1979م.

20_ قضايا في الدرس اللغوي، نادية رمضان، مؤسسة شباب الجامعة، 2001، .2002

21_ الكامل في اللغة والأدب، المبرد

22_ العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط1، 2003 م–1424هـ.

23_ لسان العرب، ابن منظور، مج2، دار صادر، بيروت.

24_ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي ، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر و التوزيع (دط)، (د ت).

25_ اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2010م .

26_ اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، (دت).

27_ لهجات العرب، أحمد تيمور باشا، قدّم له: إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1393هـ - 1973م.
28_ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،(دط)، 1996م.
29_ اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ-1993م.
30_ اللهجات في كتاب سيبويه أصواتاً وبنية، صالحة راشد غنيم آل غنيم، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ط1، 1405هـ - 1975م.
31_ اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ -1989م.
32_ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2006.
33_ مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2000
34- 2006م.
35_ محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطفي بوقربة ، معهد الأدب واللغة ، جامعة بشار.
36_ محاضرات في فقه اللغة، عصام نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2003م-1424هـ، ص.154
37 _ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.
38_ المزهر في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، شرح و تعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية بيروت، 1408هـ -1987م.
39_ معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق: البجاوي دار الفكر ، القاهرة.
40_ معجم فصّاح العامية، هشام النحاس، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1، 1997.
41_ معجم الفصيح في اللهجات العربية وماوافق منها القراءات القرآنية، محمد أديب عبد الواحد جمران، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1421هـ - 2000م.

42_ معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي- انكليزي- عربي، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.

43_ معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1405هـ - 1985م.

44_ المعجم المفصّل في فقه اللغة ، مشتاق عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ -2001م.

45_ مقاربات أولية في علم اللهجات، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دط)، 2001.

46_ مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

47_ المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محين، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية 1986م.

48_ المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم

49_ المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الوافي، ط3، دار النهضة المصرية، 1979م، 1264./3

50_ الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة و التركيب، عبد الجليل مرتاض، دار العرب للنشر والتوزيع، 2002م.

المراجع المترجمة إلى العربية:

51_ اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ترجمة: سعد عيد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م

52_ أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ 1998م.

53_ علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب ، القاهرة، ط2، 1990م

54_ علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يؤيل يوسف تحريز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد.

55 – اللسانيات، جان بيرو، ترجمة: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، (دط)، 2001.

56– اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الرواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (دط)، (دت).

57_ اللهجات العربية الغربية القديمة، تأليف: HAIM RABIN، ترجمة: عبد الرحمن أيّوب، دار السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، 1976م.

المراجع باللغة الأجنبية:

63_ dictionnaire la linguistique sous la direction de Georges Mounin press universitaire de France 1974 paris.

64 _Initiation a la problématique structurale, J.L Chis, j. Fillio et D. Maingneneau.Hachette, université de paris 1978.

المجلات والدوريات:

58 _الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007م، يومي: 04– 05 يونيو2007، بنزل الأوراس، منشورات المجلس2008م، الظواهر لانشطار الفصحى إلى عاميات، عبد الجليل مرتاض.

59 _ مجلة آداب ذي قار، العدد3،مج1، أيار2011، الأطلس اللغوي و البحث اللساني عند العرب خالد نعيم الشناوي، جامعة البصرة، كلية الآداب.

60_ مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 104، السنة السادسة والعشرون، كانون الأول، 2006م– ذو الحجة 1427هـ، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافيا المعاصرة، مازن عوض الوعر.

61_ مجلة اللغة والاتصال ، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران الجزائر، العدد الحادي عشر، 2011.

62_ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،ج1، مج43، يناير1967م، رمضان1387هـ، على هامش دعوى الصعوبة في تعلم العربية، خليل سمعان.

الرسائل الجامعية

65_ دراسة صوتية ودلالية في اللهجة التواتية ، عبد القادر اقصاصي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2000-2001.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الآية

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة

مدخل

السيرة العلمية لعبد الجليل مرتاض.....01

الفصل الأول

علم اللهجات و اللسانيات الجغرافيا.....09

المبحث الأول: اللهجة 09

1_ تعريف اللهجة.....09

_ لغة.....09

_ اصطلاحاً. 10

2_ صفات اللهجة..... 13

3_ أسباب وعوامل نشأة اللهجات:. 15

المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافيا. 23

01_ مفهوم عام حول اللسانيات الجغرافية. 23

02_وظيفة علم اللغة الجغرافي.....25

03_ أسباب التنوّع الجغرافي.....27

04_الأطلس اللغوي 29

_ تعريف الأطلس اللغوي.....30

_ بداية ظهور الأطلس اللغوي.....30
_ طرق إعداد الأطالس 31

الفصل الثاني

دراسة في كتاب "اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي اللهجي".....36
المبحث الأول: التعريف بالكتاب ومنهجية الباحث فيه.....36
_ التعريف بالكتاب.....36
_ منهجية الباحث في الكتاب.....36
المبحث الثاني: دراسة القضايا اللسانية اللهجية في الكتاب.....41
1_ ظهور ونشأة الديالكتولوجيا عند العرب.....41
2_ اللسانيات الجغرافيا وعلم اللهجات. 47
3_ معالم اللسانيات الجغرافيا في التراث العربي.....52
4_ علم اللهجات الأدبي.....59
_ علم اللهجات الأدبي متعدد المستويات.....60
_ مخاطبة الناس بما يفهمون.....61
_ سوء التفاهم بين الباث و المتلقّي.....62

الفصل الثالث

دراسة في كتاب "مقاربات أولية في علم اللهجات".....66
المبحث الاول: التعريف بالكتاب ومنهجية الباحث فيه.....66
_ التعريف بالكتاب..... 66
_ منهجية الباحث في الكتاب.....66
المبحث الثاني: دراسة القضايا اللسانية اللهجية في الكتاب. 71
1_ مصطلح ومادة علم اللهجات.....71

2_ ميلاد علم اللهجات.....76
3_ مقاربات ديالكتولوجيا في أشكال التواصل.....79
_ لغتنا فضاء مغلق 79
_ لغتنا أكثر من استعمالاتنا.....80
_ لغتنا تتنوّع باستمرار.....81
_ إشكالية فضائية بين اللغة واللهجة.....82
_ علم اللهجات والأطالس اللغوية.....82
_ الرسمي واللارسمي لعناصر ديالكتولوجية.....83
_ صعوبة تحديد الأصناف التواصلية.....85
_ لا يحل خطاب محل خطاب آخر.....86
_ اللغة إبداع متحرك وثابت.....87
4_ بين اللغة الجهوية واللغة المشتركة.....88
_اللغات الاجتماعية.....90
_ لغات الأجيال.....91
_ اللغات الموضوعاتية..... 92
خاتمة.....93
مكتبة البحث.....97
فهرس الموضوعات.....104

الملخص :

يعالج موضوع البحث أحد فروع علوم اللغة وهو علم اللهجات فهذه الدراسة تشمل بعض الجهود التي تفضل بها الأستاذ القدير عبد الجليل مرتاض أحد بحثة الجزائر، وأبرزها في مصنفاته، فقد جاءت فكرة البحث انطلاقا من موضوع اللسانيات الجغرافيا الذي هو فرع من فروع اللسانيات التطبيقية فقد كانت معرفتي بهذا العلم معرفة سطحية؛ فكنت أعلم أنّ هذا الفرع يدرس ضمن علم اللغة الاجتماعي، ولكن بعد عملية البحث في هذا المجال أكثر لفت انتباهي كتاب لـ: د/ عبد الجليل مرتاض بعنوان: " اللسانيات الجغرافيا في التراث اللغوي العربي"، وبعد أن تصفّحته اتّضح لي أن اللسانيات الجغرافيا مجال واسع يدخل ضمنه ما يعرف بعلم اللهجات العام، وليس هذا فحسب، فقد فوجئت بكتاب آخر للباحث نفسه يحمل عنوان " مقاربات أولية في علم اللهجات"، من هذا المنطلق اكتشفت أنّ الباحث له اهتمام كبير بعلم اللهجات ولاسيما عندما عثرت على كتاب آخر له في المجال نفسه، يحمل عنوان: " الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة والتركيب"، من خلال المعطيات السابقة آثرت أن يكون عنوان البحث كالآتي:(**جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام " دراسة وصفية"**). فلاشك أنّ مؤلفات عبد الجليل مرتاض اللغوية، جاءت لتوجه أنظار الباحثين إلى التراث العربي القديم في المجال اللساني؛ والآية على ذلك ما ألفه في هذا المجال ولاسيما المؤلفات اللهجية.